القطوف الدانية في تفسير سورة الغاشية

إعداد الدكتورة

إيمان عبد الحميد السيد على

الأستاذ المساعد بكلية الشريعة والقانون

قسم الشريعة - جامعة جازان

القطوف الدانية في تفسير سورة الغاشية

إيمان عبد الحميد السيد على
قسم الشريعة – كلية الشريعة والقانون
جامعة جازان

eman1976ali@yahoo.com

ملخص: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد الأولين والآخرين، ورحمة الله للعالمين.

وبعد ...

حدثتنا سورة الغاشية عن يوم القيامة، وما فيه من مشاهد وأهوال، تشيب لها رؤوس الولدان، وقسمت الناس إلى فريق في الجنة وفريق في السعير.

وقد تناول هذا البحث التعريف بالسورة، ووجه تسميتها بذلك، وعدد آياتها وكلماتها وحروفها، وأين ومتى نزلت؟ والأحاديث الواردة في هذه السورة، ومناسبة السورة لما قبلها وما بعدها، والمناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها، والمقاصد العامة للسورة.

ثم تناول البحث الحديث عن محاور السورة، وقسمها إلى أربعة محاور:

الأول: تفصيل ما أجملته من الحديث عن أهوال يوم القيامة، وأحوال أهل النار وما أعده الله لهم.

الثاني: الحديث عن نعيم الجنة، وأحوال أهلها، وما أعده الله لهم.

الثالث: الوقوف مع الآيات الكونية الدالة على وحدانية الله – تعالى – وقدرته.

الرابع: إرشاد الداعي إلى الله – عز وجل –، أن مهمته منحصرة في البلاغ، وأن هداية التوفيق ليست إلا لله – عز وجل –.

وتناول البحث في كل آيات السورة الجامعة لهذه المحاور: الحديث عن الأوجه الإعرابية الواردة فيها، والصور البلاغية المستنبطة منها، وفصل القول في القراءات القرآنية الواردة في السورة، وتوجيهها نحويا وبلاغيا ومعنويا.

ثم بين المعنى الإجمالي للآيات، والشرح التحليلي لها، وبيان خلاف أهل العلم في تفسيرها، ومناقشتهم والترجيح بينهم.

ثم استخرجت الباحثة في كل آيات السورة الفوائد المستنبطة منها.. كل ذلك بصورة بيانية مختصرة.

الكلمات المفتاحية: القطوف – الدانية – تفسير – الغاشية – القيامة

Al-Qutuf Al-Danyah "Collected Excerpts" in the interpretation of Sūrat Al-Ghaashiyah "the Overwhelming Event"

Eman Abdel Hamid El-Sayed Ali
Department of Sharia' – Collage of Sharia'' and Law
Gazan University

Eman1976ali@yahoo.com

Abstract:

All praise and thanks are Allāh's, the Lord of 'Ālamin (mankind, jinn and all that exists) and peace be upon the Master of those of old, and those of later times, and Allāh's mercy to 'Ālamin (all people), our Prophet Muhammad.

Sūrat Al-Ghaashiyah "the Overwhelming Event" describes the Day of Resurrection, and in which there are scenes and horrors that will cause the young boys white-haired and divide the people to a party will be in Paradise and a party in the blazing fire (Hell).

This research addresses the definition of Sûrah, the reason of its name, Al-Ghaashiyah "the Overwhelming Event", the number of verses, words and letters, where and when it was revealed, the prophetic sayings (hadiths) mentioned in this Sûrah, the relevance of the before – and – after Sûrah, the connection between the opening and conclusion verses of Sûrah, and the general purposes of Sûrah.

The research covers the themes of Sûrah, dividing the Sûrah into four themes:

First theme: Detailing the horrors of the Day of Resurrection, the condition of the Fire dwellers and the punishment prepared by Allāh for them which generally stated in Sūrat Al-Ghaashiyah "the Overwhelming Event".

Second theme: Describing the bliss of Paradise, the

condition of its dwellers, and the Abode of Bliss prepared by Allāh for them.

Third theme: Specifying the universal signs that indicate the oneness and power of Allāh Almighty.

Fourth theme: Guiding the preacher to Allāh, the Almighty, that his duty is limited exclusively to convey and that the guidance of rightness is for no one but Allah Almighty.

The research addresses in all combined verses of the Sûrah of these themes as follows: explaining of the etymology and syntax aspects contained therein and the rhetorical images derived from the Sûrah, firming the sayings in the recitation of the Qur'ân (Qira'at) mentioned in the Sûrah, as well as directing the Sûrah grammatically, rhetorically and morally.

The research indicates the overall meaning and the analytical explanation of verses, explains the different opinions and discussions of scholars regarding the interpretation of verses, and gives preference to an opinion.

Lastly, the researcher draws out the benefits derived from the Sûrah verses in a brief illustration.

Keywords: Excerpts "Al-Qutuf" – Collected "Al-Danyah" – interpretation - Al-Ghaashiyah "the Overwhelming Event" – Resurrection

المقدمة

الحمد لله الذى أنزل كتابه هدى للعالمين، وتبصرة للمتقين، ومحجة للسالكين، القائل سبحانه ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (١) ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعـد

فأكتب عن أهوال القيامة ومشاهدها وما يصير إليه أمر الخلائق، ولن يجد الإنسان مهما تعرض له من محن وأزمات وكوارث وفتن أشد على نفسه من القيامة التي سميت بالغاشية ، أي الداهية، فهي تذهل بها النفوس، وترتعد القلوب، وتنهار العزائم ، وترى الناس فيها أحد فريقين لا ثالث لهما : فريق في الجنة ، وفريق في السعير ، والفرق بينهما كبير جداً ، والإخبار القرآني عن القيامة وأهوالها إنذار وتحذير سابق قبل المفاجأة المذهلة، وإقامة الحجة على منكري قدرته على بعث الأجساد، بأن حدد لهم مواضع العبرة في مخلوقاته، ولفت أنظارهم إلى التأمل في المشاهد الحسية المحيطة بهم، وبيان وظيفة النبي ﷺ وهذا كله قد جاءت به سورة (الغاشية) مستوفى الأركان تام الفائدة، لذلك آثرت أن يكون موضوع دراستي عن تفسير سورة (الغاشية) وأسميته (القطوف الدانية في تفسير سورة الغاشية)

(١) الإسراء : ٩ .

وقسمته إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة على النحو التالي :

المقدمة وتحتوى على :

أ – أهمية الموضوع .

ب – أسباب اختياري له .

ج – منهج البحث .

التمهيد (بين يدى السورة الكريمة) ويحتوى على النقاط التالية :

أ – التعريف بالسورة الكريمة .

ب – وجهة التسمية .

ج – مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها .

د – المقاصد العامة للسورة .

المبحث الأول : أحوال العباد يوم القيامة، ويشتمل على مطلبين

المطلب الأول : أحوال أهل النار وما أعده الله لهم من العذاب

المطلب الثاني : أحوال أهل الجنة وما أعده الله لهم من النعيم المقيم

المبحث الثاني: الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى، وفيه مطلبين:

المطلب الأول: إثبات قدرة الله تعالى على البعث وغيره

المطلب الثاني: الداعي إلى الله تعالى مهمته الدعوة دون هداية القلوب فإنها إلى الله تعالى وحده.

الخاتمة : وتحتوى على :

أهم النتائج والتوصيات، مصادر البحث .

وقد سلكت في بحثي هذا الخطوات المنهجية التالية :

١ – ذكر عدد من الآيات التي تندرج تحت وحدة موضوعية.

٢ – ذكر أوجه المناسبات بين آيات السورة الكريمة.

٣ – ذكر معاني المفردات مع ما يصاحبها من بيان الأصل اللغوي والاشتقاق الصرفي.

٤ – ذكر الصور البلاغية مع توضيحها والوقوف على أسرار الجمال والإعجاز فيها.

٥ – ذكر القراءات الواردة في الآية مع التوجيه اللغوي لها وتوثيقها من الكتب المعتمدة عند أهل الفن.

٦ – ذكر المعنى الإجمالي للآيات.

٧ – الشرح والتحليل ، وما يتضمنه من الوقوف على النكات اللغوية واللطائف التفسيرية ، والوقوف على ما حوته من كنوز الإعجاز البياني والعلمي بقدر الطاقة البشرية .

أسأل المولى جل ذكره أن ييسر لي سبيل الرشد والسداد و أن يجنبني الزيغ والضلال .

« وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْه أنيب »

(هود ٨٨)

التمهيد

بين يدي السورة الكريمة

التعريف بالسورة من المهمات التي يحتاج إليها القارئ؛ لتعينه على تدبر معانيها، والوقوف على محتواها؛ لذا كان لزاماً على من يقدم على تفسير سور القرآن أن يمهد لكل سورة بما تنفرد به عن غيرها ببيان خصائصها المميزة لها –وجه تسميتها، زمن ومكان نزولها، صلتها بما قبلها وما بعدها، وسبب نزولها، والمقاصد العامة التي دعت إليها – واتباعاً لهذا المنهج، والسير على درب السابقين قمت بالتوطئة لتفسير هذه السورة بذكر ما تقدم على النحو التالي :

أولاً : وجه تسمية السورة :

لمعرفة أسماء السور وصفاتها المختلفة فوائد جليلة، منها شدٌ المسلم إلى زيادة تدبر القرآن؛ والرجوع المتواصل للكشف عن مضامينه، وفتح آفاق فسيحة لإعادة النظر في خفايا القرآن ومكامنه [١] .

وهذه السورة سميت في المصاحف والتفاسير (سورة الغاشية) وكذلك عنونها الترمذي في كتاب التفسير من (جامعه) لوقوع لفظ (الغاشية) في أولها [٢] .

وثبتت في السنة تسميتها (هل أتاك حديث الغاشية) ، ففي

---

(١) ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها، البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ٢٦٩/١ ط /دار إحياء الكتب العربية الأولى سنة ١٩٥٧م.

(٢) سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة الغاشية، ٥/ ٤٣٩، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر – الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ –١٩٧٥ م

«الموطأ» أَنَّ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ[١] ، سَأَلَ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ[٢] مَاذَا كَانَ يَقْرَأُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، عَلَى إِثْرِ سُورَةِ الْجُمُعَةِ ؟ قَالَ : كَانَ " يَقْرَأُ ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ [٣]، وهذا ظاهر في التسمية لأن السائل سأل عما يقرأ مع سورة الجمعة فالمسؤول عنه السورة الثانية، وربما سميت « سورة هل أتاك» بدون كلمة حديث الغاشية، وبذلك عنونها ابن عطية في تفسيره [٤] وهو اختصار [٥] .

ثانياً : عدد آياتها وكلماتها وحروفها وترتيبها :

قال أبو عمرو الداني [٦] : ولا نظير لها في عددها، وكلمها اثنتان وتسعون كلمة، وحروفها ثلاث مئة وأحد وتسعون حرفاً، وهي ست وعشرون آية في جميع العدد ليس فيها اختلاف [٧] .

---

(١) الضحاك بن قيس بن خالد الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائلة ولد قبل وفاة النبي ﷺ بسبع سنين كان على شرطة معاوية، ثم صار عاملا له على الكوفة بعد زياد، قتل بمرج راهط، سنة أربع وستين، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٧٤٤/٢، أبو عمر عبد البر تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

(٢) النعمان بن بشير بن ثعلبة وأمه عمرة بنت رواحة، أخت عبد الله بن رواحة، ولد قبل وفاة رَسُول اللَّهِ ﷺ بثماني سنين وسبعة أشهر، قتل بعد وقعة مرج راهط ، سنة أربع وستين فِي ذي الحجة، أسد الغابة ٥٥٢/٤، ابن الأثير ، دار الفكر – بيروت، عام ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

(٣) موطأ الإمام مالك، كتاب الجمعة، باب القراءة في صلاة الجمعة، والاحتباء، ومن تركها من غير عذر،١١١/١، صححه ورقمه محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٦ هـ -١٩٨٥ م

(٤) المحرر الوجيز، ا بن عطية، ٤٧٣/٥، تحقيق، عبد السلام عبد الشافي محمد، الكتب العلمية – بيروت، الأولى ١٤٢٢ هـ

(٥) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور،٢٩٣/٣٠، ط/ الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هـ

(٦) أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد الأموي القرطبي، الإمام، شيخ الإسلام، عالم القراءات، صاحب التصانيف، ولد سنة إحدى وسبعين وثلاث مائة، وتوفى سنة أربع وأربعين وأربعمائة، تذكرة الحفاظ ١١٢/٣

(٧) البيان في عدّ آي القرآن، أبو عمرو الداني، ٢٧٣/١، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث – الكويت الأولى، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م، اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ٢٨٩/٢٠، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان

ترتيبها : باعتبار زمن نزولها : معدودة السابعة والستين في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة (الذاريات) ، وقبل سورة (الكهف) [١] ومن حيث ترتيب المصحف : هي الثامنة والثمانون بعد سورة (الفجر) وقبل (الأعلى) .

ثالثاً : أين ومتى نزلت ؟

قال ابن عطية [٢] : وهي مكية لا خلاف في ذلك بين أهل التأويل[٣] وبه قال جمهور المفسرين [٤] .

رابعاً : ما ورد فيها من أحاديث :

أخرج مسلم [٥] ، وأبو داوود [٦] ، عن النعمان بن بشير قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ ، وَفِي الْجُمُعَةِ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ» ، قَالَ: « وَإِذَا اجْتَمَعَ الْعِيدُ وَالْجُمُعَةُ، فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، يَقْرَأُ بِهِمَا أَيْضًا فِي الصَّلَاتَيْنِ » [٧] .

---

(١) الإتقان للسيوطي ٤٣/١

(٢) الإمام الحافظ، الناقد المجود، أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عطية المحاربي الأندلسي، الغرناطي المالكي، كان حافظا للحديث وطرقه وعلله، عارفا بالرجال، ذاكرا لمتونه ومعانيه، كان أديبا شاعرا لغويا، دينا فاضلا، أكثر الناس عنه، وكف بصره في آخر عمره، ولد سنة إحدى وأربعين وأربع مائة، وتوفي: في جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وخمس مائة، وله سبع وسبعون سنة، رحمه الله، سير أعلام النبلاء ٤٠١/١٤

(2) المحرر الوجيز ٤٧٣/٥

(٤) تفسير القرطبي ٥٢/٢٠،

(٥) أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري صاحب الصحيح؛ أحد الأئمة الحفاظ وأعلام المحدثين، توفي سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور، وعمره خمس وخمسون سنة، وفيات الاعيان ١٩٥/٥

(٦) أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران الأزدي السجستاني؛ أحد حفاظ الحديث وعلمه وعلله، ولد سنة اثنتين ومائتين، وتوفي سنة خمس وسبعين ومائتين، وفيات الأعيان ٤٠٤/٢

(٧) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، بَابُ مَا يُقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، (٨٧٨) دار إحياء التراث العربي – بيروت، الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ٤٩٠/٨، دار الفكر – بيروت، سنن أبى داوود، تَفْرِيعِ أَبْوَابِ الْجُمُعَةِ، بَابُ مَا يُقْرَأُ بِهِ فِي الْجُمُعَةِ، (١١٢٢) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا –بيروت

خامساً : وجه مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها :

المناسبة بين مقاطع السور وافتتاحيتها وخاتمتها وسائر آياتها أمر على جانب كبير من الأهمية، فوجوه المناسبات تلقى الضوء على محور السورة وهدفها، ومن الأمور التي اعتنى بها كثير من المفسرين إبراز وجوه المناسبات بين سور القرآن وآياته، وبيان التآخي بينها وكأنها عقد محكم متناسق الدرر واللآلئ، بحيث لا يمكن تقديم أو تأخير إحداها عن موضعها، فسوره وآياته في غاية الإحكام والانسجام والقارئ المتدبر لكتاب الله يقف على كثير من وجوه المناسبات بين سوره وآياته .

وسورة الغاشية كنظائرها من السور، متصلة تمام الصلة بما قبلها وما بعدها، ويتضح ذلك من خلال الآتي :

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها :

١ – افتتحت السورة بقوله تعالى : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ (١) أي القيامة ، لأنها تغشى الناس بشدائدها، وأن الناس يوم القيامة فريقان، وأن مرجع العباد إليه يوم القيامة، واختتمت بقوله ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (٢) فحساب جميع الخلائق عليه يوم القيامة فمدار حديث السورة الكريمة حول اليوم الآخر وما يحدث فيه .

٢ – بدأت سورة الغاشية بالحديث عن مصير الخاسرين في الآخرة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَة، عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ (٣) ، وانتهت السورة بالموضوع نفسه ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ، إِلَّا مَنْ تَوَلَّى

(١) الغاشية ١

(٢) الغاشية ٢٥،٢٦

(٣) الغاشية : ٢، ٣ .

وَكَفَرَ، فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ، إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [١] فشكلت بذلك السورة وحدة موضوعية يلحظها القارئ بغير عناء.

مناسبة السورة لما قبلها :

هناك اتصال وثيق بين سور الغاشية وسورة الأعلى تظهر معالمه فيما يأتي :

١ – كانت خاتمة سورة الأعلى إقراراً لفضل الآخرة على الحياة الدنيا، فجاءت فاتحة سورة الغاشية صورة حية من صور الآخرة بما فيها من مشاهد الخسارة والربح ، والجحيم والنعيم [٢] .

٢ – لما أشار سبحانه في سورة الأعلى بقوله : ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى، وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ، الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ﴾ إلى قوله:﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [٣] إلى المؤمن والكافر، والنار والجنة إجمالًا، فصل ذلك في هذه السورة، فبسط صفة النار والجنة مستندة إلى أهل كل منهما، على نمط ما هنالك؛ ولذا قال في (الغاشية) ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ في مقابل ﴿ الْأَشْقَى ﴾ في سورة (الأعلى) ، وقال في (الغاشية) ﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾ إلى ﴿لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴾ في مقابلة ﴿يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ في سورة (الأعلى) .

٣ – لما قال في (الأعلى) في الآخرة : ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ بسط في (الغاشية) صفة أكثر من صفة النار؛ تحقيقًا لمعنى الخيرية [٤] .

---

(١) الغاشية : ٢١ ، ٢٦

(٢) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ،١١٦/٩، ٥٠إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن إشراف ا/ دا مصطفى مسلم طبعة جامعة الشارقة الأولى ١٤٣١هـ – ٢٠١٠ م .

(٣) الأعلى : ١٠ – ١٧ .

(٤) أسرار ترتيب القرآن،١٥٧/١ جلال الدين السيوطي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع

وجه اتصال السورة بما بعدها :

١ – جاء آخر سورة الغاشية ليقرر إياب الخلائق إلى الله تعالى، ومنهم الكافرون، وأن حسابهم على الله؛ وعيداً لهم وتهديداً على إصرارهم على الكفر، ثم افتتحت سورة الفجر بالقسم على حسابهم [١] .

٢ – الغاشية اسم من أسماء يوم القيامة ، والسورة كلها توكيد لما ينتظر الناس مؤمنهم، وكافرهم عند قيام الساعة وما يليها ، والفجر أدل شيء على قيام الساعة ، فالفجر ينفجر عنه صبح قد أضاء ، وليل قد انقضى، فكأنه بعث جديد بعد موت ، فناسب ما في سورة الغاشية .

٣ – لما ذكر الله في سورة الغاشية قوله ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴾ وكانت بعثة رسول الله ﷺ إحياءً للقلوب، كما أن الفجر يؤذن بيوم جديد وإحياء الناس من موتتهم الصغرى، فناسب ذكر الفجر بعد ذكر مهمة النبي ﷺ والقسم على ذلك .

سادساً : المقاصد العامة التي تدعو إليها السورة الكريمة :

المقصد الأسمى والهدف الرئيس من هذه السورة كغيرها من السور المكية هو ترسيخ دعائم العقيدة في القلوب ؛ من الإيمان بالبعث والمعاد والحساب، وإقامة الأدلة المادية عليها،" وبيان مجد القرآن في صدقه في الأخبار بتنعم أهل الإيمان، وتعذيب أهل الكفران في يوم القيامة، حين تبلى السرائر وتكشف الضمائر عن مثقال الذر، وما دون المثقال مما دونته الحفظة الكرام في صحائف الأعمال بعد استيفاء الآجال، كما قدر في الأزل من غير استعجال ولا تأخير عن الوقت المضروب ولا إمهال"

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ،١٢٦/٩

فتعلم كل نفس صدق رسول الله ﷺ في دعوته .

وإليك ما يتفرع عن هذا المقصد من أهداف :

١ – تقرير الإيمان بالبعث، والجنة والنار، وهي القضية التي كان ينازع فيها مشركو العرب، ووصف أهوال القيامة، وما يلقاه الكافر والمؤمن فيها من الشقاء والسعادة [الآيات : ١ – ١٦] .

٢ – ذكر طائفة من الظواهر الكونية ، الدالة على وحدانية الله وقدرته وحكمته وعلمه بدليل خلق السماء ، والإبل ، والجبال ، والأرض ، وغيرها من عجائب الصنعة الإلهية ، وهذا منهج القرآن في إثبات الألوهية بدلائل الربوبية ، وهذا منهج قرآني رصين ، وكثير، في كتاب الله [الآيات : ١٧ – ٢٠] .

٣ – ختمت السورة الكريمة بخاتمة تشبه خاتمة السورة المتقدمة وهي تذكير الناس بالرجوع إلى الله عز وجل للحساب والجزاء، وأمر الرسول ﷺ أصالة بالتذكير بما أنزل إليه من الشرائع والأحكام [الآيات : ٢١ – ٢٤] .

٤ – بيان أن الذي يتولى حساب العباد يوم القيام ، إنما هو الله تعالى ، وهو ما يؤكد أنه لن يفوت شيء من هذا الحساب، لأنه من قبل من لا يضل ولا ينسى ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ (١) [الآيات ٢٥ – ٢٦] .

(١) غافر : ١٩ .

المبحـــث الأول

أحـوال العبـاد يـوم القيامـة

ويشتمل على مطلبين

المطلب الأول: أحوال أهل النار وما أعده الله لهم من العذاب .

المطلب الثاني : أحوال أهل الجنة وما أعده الله لهم من النعيم المقيم

المبحث الأول

أحوال العباد يوم القيامة

وبعد التعريف بهذه السورة الكريمة والوقوف على مقاصدها آن الوقت للولوج في هذه الدوحة الغناء نقتطف من ثمارها، ونستنشق عبيرها ونتلمس معانيها ونقف على دقائقها بقدر الاستطاعة البشرية راجين من المولى التوفيق والسداد فهو نعم المولى ونعم النصير.

المطلب الأول

أهول القيامة وأحوال أهل النار

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ* تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ * لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ* لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴾ * .

معاني المفردات :

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ : الإتيان : مجيء بسهولة ، ومنه قيل للسيل المارّ على وجهه : أَتِيّ [١] .

حَدِيثُ : كلّ كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي في يقظته أو منامه يقال له : حديث [٢] .

الْغَاشِيَةِ : الْغاشِيَةِ الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها، يعنى القيامة [٣]

---

(١) المفردات في غريب القرآن ٦٠/١، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي/ دار القلم، الدار الشامية –دمشق بيروت، الأولى –١٤١٢ هـ

(٢) المفردات في غريب القرآن ٢٢٢/١

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري جار الله ٤ / ٧٤١ – دار الكتاب العربي – بيروت – الثالثة ١٤٠٧ هـ المفردات ١ / ٦٠٧ ، معجم مقاييس اللغة ٤٢٥/٤ ، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ :

وُجُوهٌ : أصل الوجه الجارحة، ولما كان الوجه أول ما يستقبلك، وأشرف ما في ظاهر البدن استعمل في مستقبل كل شيء، وفي أشرفه ومبدئه [١]

خَاشِعَةٌ : الخشوع: الضراعة، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح [٢]

عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ : النصب : التعب [٣] .

تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً : المتوقدة المتوهجة [٤] .

تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ : متناهية في الحرّ [٥] .

لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ : نبات أحمر منتن الريح يرمي به البحر، وكيفما كان فإشارة إلى شيء منكر [٦] .

لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ : ليس فيه منفعة الطعام وهي التسمين وإزالة الجوع.

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ :

إعراب قوله (هَلْ) هل حرف استفهام مبنى على السكون، وفي (هل) وجهان :

الأول : أنها على بابها من الاستفهام المحض، أي: هو ممن يسأل

---

(١) المفردات ٨٥٥/١

(٢) المفردات ٢٨٣/١، مادة خشع

(٣) المفردات ٨٠٧/١، مادة نصب، مجمل الل غة٨٧٠/١

(٤) المفردات ٢٥٨/١، الكشاف ٧٤٢/٤

(٥) مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، ٢٩٦/٢، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى – القاهرة، ١٣٨١ هـ

(٦) مجمل اللغة١ /٥٧٦، المفردات ٥٠٦/١، مادة: ضرع

عنه لغرابته، ومعناه التعجب والتشويق، إلى استماع حديث الغاشية، وإليه ذهب مكي ابن أبى طالب حيث قال: الأحسن أن تكون هل على بابها للاستفهام الذي معناه التقرير، وإنما هو تقرير لمن أنكر البعث، [١] قال أبو حيان [٢] : هل حرف استفهام، فإن دخلت على الجملة الاسمية لم يمكن تأويله (بقد)، لأن (قد) من خواص الفعل، فإن دخلت على الفعل فالأكثر أن تأتي للاستفهام المحض [٣] .

الثاني : هي هنا بمعنى (قد) قيل: لأن الأصل أهل، فكأن الهمزة حذفت واجتزئ بها في الاستفهام [٤] قال الزمخشري [٥] هل بمعنى «قد» في الاستفهام خاصة، والأصل: أهل، [٦] قال الشاعر:

سَـــائِلْ فَـــوارسَ يَرْبُـــوعٍ بِشَـــدَّتِنا أهَـــلْ رَأَوْنَـــا بـــوادي القُـــفِّ ذي الأكَـــمِ [٧]

ومعنى قول الزمخشري : « في الاستفهام خاصة » أن « هل » لا تكون بمعنى « قد » إلا ومعها استفهام لفظاً كالبيت المتقدم ،

(١) مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب ٧٨١/٢، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة –بيروت

(٢) أبو حيان : محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الشيخ الإمام الحافظ العلامة فريد العصر وشيخ الزمان وإمام النحاة أثير الدين أبو حيان الغرناطي، توفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة، الوافي بالوفيات ١٨٥/٥، دار إحياء التراث – بيروت:١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م

(٣) البحر المحيط، أبو حيان لأندلسي ٣٥٨/١٠، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر –بيروت

(٤) البحر المحيط ٣٥٨/١٠، الدر المصون ٥٩٠/١٠

(٥) الزمخشري: محمود بن عمر بن أحمد أبو القاسم الزمخشري جار الله: كان إماماً في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم كبير الفضل متفنناً في علوم شتى، معتزليّ المذهب مجاهراً بذلك، ولد سنة سبع وستين وأربعمائة، وتوفي سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ٢٦٨٩/٦، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م

(٦) الكشاف ٦٦٥/٤

(٧) البيت في الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٥٨٩/١٠، غير منسوب لأحد، إعراب القرآن وبيانه، محيي

أو تقديراً كالآية الكريمة [١] .

وبعض المفسرين يجعلها بمعنى " ما " كما في قوله تعالى ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ ﴾ [٢] [٣] .

الصور البلاغية : تضمنت الآيات الكريمات صوراً جمالية من علوم البلاغة" البيان والمعاني والبديع" بلغت الذروة في الجمال والذوق الفني وهى :

أسلوب التشويق والتهويل : في قوله ﴿هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ﴾؟ وهو استفهام أريد به التقرير ولفت النظر إلى هذا الحديث، وفائدته تحريك نفس السامع إلى تلقى الخبر [٤] .

الاستعارة : في قوله " هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ " القيامة سميت غاشية على وجه الاستعارة لأنها إذا حصلت لم يجد الناس مفراً من أهوالها فكأنها غاش يغشى على عقولهم، ويطلق الغشيان على غيبوبة العقل، فيجوز أن يكون وصف الغاشية مشتقاً منه، ففهم من هذا أن الغاشية صفة لمحذوف يدل عليه السياق[٥].

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٥٨٩/١٠، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية – الرابعة ١٤١٥ هـ .

(٢) الأنعام : ١٥٨ .

(٣) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة ٢٨٨/١، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب ٧٨١/٢، المحرر الوجيز، ابن عطية ٤٧٢/٥، البحر المحيط، أبو حيان لأندلسي ٣٥٨/١٠، الدر المصون ٥٩٠/١٠، الكشاف ٤/ ٦٦٥ – الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل ٤٢٠/١٢، بهجت عبد الواحد صالح، دار الفكر للنشر، إعراب القرآن وبيانه ٤٥٨/١٠، بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعراباً وتفسيراً بإيجاز، بهجت عبد الواحد الشيخلى ١٠/ ٥٩١، معرض الإبريز من الكلام الوجيز عن القرآن العزيز، عبد الكريم محمد الأسعد ٩٧٤/٥–دار المعراج الدولية،

(٤) البحر المحيط ٤٦١/١٠

(٥) التحرير والتنوير ٣٠ /٢٩٤، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي،٢٠٤/٣٠ دار الفكر المعاصر – دمشق، الثانية، ١٤١٨ هـ

المجاز المرسل : في قوله ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ﴾ أي أصحابها وهم الكفار فهو مجاز مرسل بإطلاق الجزء وهو الوجوه وإرادة الكل وهي الذوات.

الكناية : في قوله تعالى "ليس لهم" ففي الكلام مجاز، أو كناية، أريد به طعام مكروه للإبل وغيرها من الحيوانات التي تلتذ رعى الشوك

المجاز العقلي [١] : إسناد الخشوع والعمل والنصب إلى وجوه من قبيل المجاز العقلي، أي أصحاب وجوه

المقابلة : في قوله ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ، عامِلَةٌ ناصِبَةٌ ووُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناعِمَةٌ، لِسَعْيِها راضِيَةٌ ﴾ فيهما مقابلة بين وجوه الأبرار ووجوه الفجار.

فن التتميم [٢] : فقوله ﴿ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴾ جملة لا يمكن طرحها من الكلام، لأنه لما قال " لَا يُسْمِنُ " ساغ لمتوهم أن يتوهم أن هذا طعام، الذي ليس من جنس طعام البشر، انتفت عنه صفة الإسمان، ولكن بقيت له صفة الإغناء، فجاءت جملة "وَلَا يُغْنِي "تتميماً للمعنى المراد، وهو أن هذا الطعام انتفت عنه صفة إفادة السمن والقوة، كما انتفت عنه صفة إماطة الجوع وإزالته .

التعريض : وأوثر وصف "خاشعة، وعاملة، وناصبة" تعريضاً بأهل

---

(١) هو إسنادُ الفعل ، أو ما في معناه (من اسم فاعل، أو اسم مفعول أو مصدر) إلى غير ما هو له في الظاهر، من حال المتكلم، لعلاقة مع قرينة تمنع من أن يكون الإسناد إلى ما هو له، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، صـ٢٥٥، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى ، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت

(٢) **التتميم والتكميل** : وهو أن توفى المعنى حظه من الجودة، وتعطيه نصيبه من الصحة؛ ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه إلا تورده، أو لفظاً يكون فيه توكيده إلا تذكره، الصناعتين، أبو هلال العسكري، صـ٣٨٩، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية – بيروت، ١٤١٩ هـ

الشقاء بتذكيرهم بأنهم تركوا الخشوع لله والعمل بما أمر به والنصب في القيام بطاعته، فجزاؤهم خشوع مذلة، وعمل مشقة، ونصب إرهاق [١] .

القراءات القرآنية وتوجيهها :

قرأ ابن كثير [٢] في رواية شبل [٣] وابن محيصن [٤] : ﴿ عامِلَةٌ ناصِبَةٌ﴾ بالنصب على الذم، والناصب فعل مضمر تقديره أذم أو أعني ونحو هذا، قال أبو الفتح: ينبغي أن يكون النصب على الشتم، أي: أذكرها عاملة ناصبة في الدنيا على حالها هناك، فهذا كقوله تعالى: ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ [٥] ، وذلك أنهم لم يخلصوها لوجهه، بل أشركوا به معبودات غيره . قرأ ابن كثير ونافع [٦] ، وابن عامر [٧] ،

(١) التحرير والتنوير ٢٩٦/٣٠

(٢) ابن كثير هو عبد الله بن كثير المكي. وهو من التابعين. وتوفي بمكة سنة عشرين ومائة. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي صـ٨، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان

(٣) شبل بن عباد المكي القارئ، صاحب عَبد اللَّهِ بْن كثير، مات سنة ثمان وأربعين ومئة، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٣٥٨/١٢

(٤) عُمَر بْن عَبْد الرَّحْمَنِ بْن محيصن القرشي السهمي، أَبُو حفص المكي، قارئ أهل مكة، توفي سنة ثلاث وعشرين ومئة، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ٤٣٠/٢١، جمال الدين ابن الزكي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، الأولى، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م

(٥) البقرة: ١٦٧

(٦) نافع: هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي، أصله من أصفهان، وتوفي بالمدينة سنة تسع وستين ومائة، البدور الزاهرة صـ٧

(٧) ابن عامر: هو عبد الله بن عامر الشامي اليحصبي قاضي دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك، ويكنى أبا عمران، وهو من التابعين، وتوفي بدمشق سنة ثمان عشرة ومائة.، البدور الزاهرة صـ٨

وحمزة [١] والكسائي [٢] وحفص [٣] عن عاصم [٤] والأعرج [٥]« تَصْلى » بفتح التاء وسكون الصاد على بناء الفعل للفاعل، أي الوجوه، والمعنى: تلزم حر نارٍ حامية، والحجة لمن فتح: أنه أتى بالفعل على أصله وبناه لفاعله.

وقرأ أبو بكر [٦] ، عن عاصم ، وأبو عمرو [٧] ، بخلاف عنه، وأبو رجاء [٨] ، وأبو عبد الرحمن [٩] ، وابن محيصن، واختلف عن نافع، وعن الأعرج « تُصْلَى » بضم التاء وسكون الصاد، وذلك يحتمل أن

---

(١) **حمزة** : حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات الفرضي التيمي، ويكنى أبا عمارة ، وتوفي بحلوان في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ست وخمسين ومائة، البدور الزاهرة ص ٨ .

(٢) علي بن حمزة النحوي، ويكنى أبا الحسن، وقيل له الكسائي من أجل أنه أحرم في كساء – وتوفي " برنبوية " قرية من قرى الري حين توجه إلى خراسان مع الرشيد سنة تسع وثمانين ومائة، البدور الزاهرة صـ٨

(٣) حفص: حفص بن سليمان بن المغيرة البزاز الكوفي ، ويكنى أبا عمرو ، وكان ثقة قال ابن معين : هو أقرأ من أبي بكر ، وتوفي سنة ثمانين ومائة ، البدور الزاهرة ص ٩ .

(٤) عاصم : هو عاصم بن أبي النجود، ويقال له ابن بهدلة، ويكنى أبا بكر، وهو من التابعين، وتوفي بالكوفة سنة ثمان وعشرين ومائة، البدور الزاهرة ص ٨ .

(٥) عبد الرحمن الأعرج ابن هرمز بن كيسان أبو داود المدني، مولى ربيعة بن الحارث، وقيل: مولى محمد بن ربيعة، نزل الإسكندرية ومات فيها سنة سبع عشرة ومائة، وكان ثقة ثبتاً من كُتاب المصحف ومقرئيه. (انظر : تهذيب التهذيب ٦/٢٩٠. وتقريب التهذيب ٢١١) .

(٦) أبو بكر شعبة بن عياش بن سالم الكوفي، وتوفي بالكوفة سنة ثلاث وتسعين ومائة، البدور الزاهرة، صـ٩

(٧) زبان بن العلاء بن عمار المازني البصري. وقيل اسمه يحيى، وقيل اسمه كنيته، وتوفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة، البدور الزاهرة صـ٩

(٨) أبو رجاء العطاردي عمران بن تيم البصري، أخذ القراءة عرضا عن ابن عباس –رضي الله عنهما– وتلقن القرآن من أبي موسى، ولقي أبا بكر –رضي الله عنهما، قال ابن معين: مات سنة خمس ومائة، وله مائة وسبع وعشرون سنة، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار صـ٣١، شمس الدين الذهبي، دار الكتب العلمية ،الأولى ١٤١٧ هـ– ١٩٩٧م

(٩) أبو عبد الرحمن السلمي مقرئ الكوفة، عبد الله بن حبيب بن ربيعة، ولأبيه صحبة،ولد هو في حياة النبي ﷺ، وقرأ القرآن وجوده وبرع في حفظه، وعرض على عثمان وعلي وابن مسعود –رضي الله عنهم– وغيرهم، توفي في سنة أربع وسبعين. معرفة القراء الكبار صـ ٣٠ .

يكون من صليته النار على معنى أصليته ، فيكون كتضرب ، ويحتمل أن يكون من أصليت ، فتكون كتكرم ، والمعنى : تلقى في نار حامية، حتى يصلى حرها ، أي : يقاسي عذابها، والحجة لمن قرأه بالضم: أنه طابق بذلك بين لفظه ولفظ قوله : (يسقى)

وقرأ بعضه م: « تُصَلّى » بضم التاء وفتح الصاد وشد اللام على التعدية بالتضعيف، حكاها أبو عمرو بن العلاء [1] .

المعنى الإجمالي للآيات

أي هل بلغك يا محمد حديث القيامة وعلمت خبره، فإنه لم يأتك سابقاً حديث هذه الداهية، وقد أتاك الآن فاستمع، والغاشية هي الداهية التي تغشى الناس بشدائدها، وتغمرهم بأهوالها، والمراد منها هنا يوم القيامة، وقد سبق في هذا الجزء وصف القيامة بالطّامة والصّاخّة، وسيأتي وصفها بالقارعة، بما يناسب طبيعة التذكير والتهديد للمعاندين، والاستفهام هنا لتعظيم الأمر وتقريره، أي هل سمعت قصة يوم القيامة وما يقع فيه؟ إن

(١) المحرر الوجيز ٤٧٢/٥، البحر المحيط ٤٦٠/١٠، السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد ٦٨١/١، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، الثانية، ١٤٠٠هـ، الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سواده أبو القاسم الهُذَلي اليشكري، /٦٦٠، تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي ٣٦٥/٢،ط/ وزارة الأوقاف– المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م، حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة ٧٩٥/١، تحقيق، سعيد الأفغاني، دار الرسالة، المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوري ٤٦٩/١، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية– دمشق، ١٩٨١ م، معاني القراءات، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي،١٤٠/٣، مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩١م، الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه٣٦٩/١،تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب – جامعة الكويت، دار الشروق – بيروت، الرابعة، ١٤٠١ هـ

وجوه الكفّار في هذا اليوم تكون ذليلة، لما يظهر عليها من الحزن والكآبة، وسوف يلقون تعباً وإرهاقاً في النار، بسبب أعمالهم السيّئة، وسيدخلون النار المتأجّجة التي تلتهمهم، وإذا عطشوا من شدة حرّها، وطلبوا ما يطفئ ظمأهم، سقوا ﴿مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾: أي من ينبوع شديد الحرارة، ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرابُ وَساءَتْ مُرْتَفَقاً﴾ (١) وليس لهم طعام في النار إلّا من ضريع، والضريع: شجر ذو شوك مذاقه سامّ، والأكل منه لون من ألوان العذاب الشديد، يضاف الى ذلك الغسلين والغسّاق، وباقي الألوان التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

قال الإمام النيسابوري (٢) : وقدّم وصف الأشقياء لأن مبنى السورة على التخويف كما ينبئ عنه لفظ الغاشية (٣) .

الشرح والتحليل :

هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ : وفيه عدة مسائل :

المسألة الأولى : المفهوم اللغوي لقوله **(أَتاكَ) الإتيان** : مجيء بسهولة، ومنه قيل للسيل المارّ على وجهه: أَتِيّ، وأَتَاوِيّ والإتيان يقال للمجيء بالذات وبالأمر وبالتدبير، ويقال في الخير وفي الشر وفي الأعيان والأعراض، نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾ (٤) ، وقوله:﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ﴾ (٥) ، أي: بالأمر

(١) الكهف : ٢٩ .

(٢) نظام الدين حسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري المعروف بنظام الأعرج، إمام المفسرين وعصام المتبحرين نظام الملة أصله وموطن أهله وعشيرته مدينة قم، توفى سنة ٨٥٠ هـ ،الأعلام للزركلى ٢١٦/٢

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، ٤٨٩/٦، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى –١٤١٦ هـ

(٤) الأنعام ٤٠

(٥) النحل ٢٦

والتدبير [١] .

المسألة الثانية : أقوال السلف في بيان معنى الغاشية :

ورد في تفسير الغاشية عن السلف ثلاثة أقوال :

الأول : القيامة تغشي الناس بالأهوال ، روى عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك (الْغَاشِيَةِ) من أسماء يوم القيامة، عظَّمه الله، وحذّره عباده، وهذا مذهب جمهور السلف [٢] .

الثاني : الغاشية: النار تغشى وجوه الكفرة، روى عن سعيد ابن جبير ومحمد بن كعب [٣] ويؤيد هذا قوله تعالى: وَتَغْشى وُجُوهَهُمُ النَّار﴾ [٤] وقال :﴿ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [٥] فهي تغشى سكانها .

الثالث : عن الماوردي قال: ويحتمل أنها في هذا الموضع النفخة الثانية للبعث لأنها تغشى جميع الخلق [٦] .

قال الكلبي : المعنى إن لم يكن أتاك حديث الغاشية، فقد أتاك [٧] .

---

(١) المفردات ٦٠/١، بصائر ذوى التمييز ٤٣/٢

(٢) النكت والعيون ٢٧٥/٦، الدر المنثور٤٩١/٨

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، ٣٨١/٢٤، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط/ مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢٠ هـ -٢٠٠٠ م، الدر المنثور، جلال الدين السيوطي ٤٩١/٨، دار الفكر -بيروت

(٤) إبراهيم ٥٠ .

(٥) الأعراف ٤١ .

(٦) النكت والعيون، الماوردي ٢٧٥/٦، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان

(٢) السيوطي ٤٩١/٨

المسألة الثالثة : أقوال المفسرين في الغاشية :

قال الفخر الرازي [١] : ذكروا في الغاشية وجوهاً :

أحدها: أنها القيامة من قوله: ﴿يَوْمَ يَغْشاهُمُ الْعَذابُ﴾ [٢] إنما سميت القيامة بهذا الاسم، لأن ما أحاط بالشيء من جميع جهاته فهو غاش له، والقيامة كذلك من وجوه الأول: أنها ترد على الخلق بغتة وهو كقوله تعالى: ﴿فَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غاشِيَةٌ مِنْ عَذابِ اللَّهِ﴾ [٣] ، والثاني: أنها تغشى الناس جميعاً من الأولين والآخرين. والثالث: أنها تغشى الناس بالأهوال والشدائد القول

الثاني : الغاشية هي النار أي تغشى وجوه الكفرة وأهل النار قال تعالى: ﴿وَتَغْشى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [٤] وهو قول سعيد بن جبير ومقاتل

الثالث : الغاشية أهل النار يغشونها ويقعون فيها والأول أقرب، لأن على هذا التقدير يصير المعنى أن يوم القيامة يكون بعض الناس في الشقاوة، وبعضهم في السعادة [٥] وإلى هذا ذهب جمهور المفسرين [٦]

وذهب الإمام الطبري إلى الجمع بين هذه الأقوال حيث قال:

---

(١) العلامة الكبير ذو الفنون فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني الأصولي المفسر كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين ،ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة، مات سنة ست وستمائة وله بضع وستون سنة، سير أعلام النبلاء ٢١/٥٠١

(٢) العنكبوت ٥٥

(٣) يوسف ١٠٧

(٤) إبراهيم ٥٠

(٥) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي ١٣٨/٣١، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الثالثة – ١٤٢٠هـ

(٦) زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج ابن الجوزي ٤٣٤/٤، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الأولى –١٤٢٢ هـ، المحرر الوجيز ٤٧٦/٥، الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين القرطبي ٢٦/٢٠، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الثانية، ١٣٨٤هـ –١٩٦٤ م، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي ٣٠٧/٥، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الأولى –١٤١٨ هـ

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله قال لنبيه ﷺ : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) لم يخبرنا أنه عنى غاشية القيامة، ولا أنه عنى غاشية النار، وكلتاهما غاشية، هذه تغشى الناس بالبلاء والأهوال والكروب، وهذه تغشي الكفار باللفح في الوجوه، والشُّواظ والنحاس، فلا قول في ذلك أصحّ من أن يقال كما قال جلّ ثناؤه ، ويعمّ الخبر بذلك كما عمه [1] .

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ : وفيه عدة مسائل :

الأولى : المفهوم اللغوي لقوله (وُجُوهٌ) : أصل الوجه الجارحة، والوجه: مستقبل كل شيء، ولما كان الوجه أول ما يستقبلك وأشرف ما في ظاهر البدن استعمل في مستقبل كل شيء وفى أشرفه ومبدئه،

الثانية : أقوال السلف في بيان معنى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ﴾

وُجُوهٌ : في الوجوه ها هنا قولان:

أحدهما: عنى وجوه الكفار كلهم، قاله يحيى بن سلام، وقتادة

الثاني : أنها وجوه اليهود والنصارى، تخشع ولا ينفعها عملها قاله ابن عباس .

وأخرج عبد الرزاق قال: مرّ عمر بن الخطاب براهب، فوقف فنودي الراهب، فقيل له: هذا أمير المؤمنين، قال: فاطلع، فإذا إنسان به من الضر والاجتهاد وترك الدنيا، فلما رآه عمر بكى فقيل له: إنه نصراني، فقال: قد علمت ولكني رحمته ذكرت قول الله ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾، فرحمت نصبه واجتهاده، وهو في النار [2] .

يَوْمَئِذٍ: وفي قوله (يومئذٍ) وجهان: أحدهما: يعني يوم القيامة، قاله

(١) جامع البيان ٣٨٢/٢٤

(٢) تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني٤٢٠/٣، دار الكتب العلمية، تحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، سنة ١٤١٩هـ

سعيد بن جبير. الثاني: في النار، قاله قتادة.

خاشِعَةٌ: فيه وجهان: أحدهما: يعني ذليلة بمعاصيها، قاله قتادة، الثاني: أنها تخشع بعد ذل من عذاب الله فلا تتنعم، قاله سعيد بن جبير.

قال الماوردي: ويحتمل وجهاً ثالثاً: أن تكون خاشعة لتظاهرها بطاعته بعد اعترافها بمعصيته [١] .

الثالثة: أقوال المفسرين في ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ﴾: والوجوه الخاشعة، وجوه الكفار وخشوعها ذلها وتغيرها بالعذاب

قال الفخر الرازي: المراد بالوجوه، أصحاب الوجوه وهم الكفار، بدليل أنه تعالى وصف الوجوه بأنها ﴿ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾، وذلك من صفات المكلف، لكن الخشوع يظهر في الوجه فعلقه بالوجه لذلك، وهو كقوله:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ﴾ [٢] وقوله: خاشعة أي ذليلة قد عراهم الخزي والهوان، كما قال: ﴿وَلَوْ تَرى إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ﴾ [٣] وقال: ﴿وَتَراهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْها خاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍ﴾ [٤] وإنما يظهر الذل في الوجه، لأنه ضد الكبر الذي محله الرأس والدماغ[٥].

قال صاحب التحرير والتنوير: فالوجوه كناية عن أصحابها، إذ يكنى بالوجه عن الذات كقوله تعالى: ﴿وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ﴾ [٦] وقرينة ذلك هنا قوله بعده: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ إذ جعل ضمير الوجوه جماعة العقلاء، وأوثرت الوجوه بالكناية عن

---

(١) النكت والعيون ٢٨٥/٦، جامع البيان ٣٨٢/٢٤، زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي ٤٣٤/٤، الدر المنثور ٤٩١/٨

(٢) القيامة ٢٢

(٣) السجدة ١٢

(٤) الشورى ٤٥

(٥) مفاتيح الغيب ١٣٩/٣١

(٦) الرحمن ٢٧

أصحابها هنا وفي مثل هذا المقام لأن حالة الوجوه تنبئ عن حالة أصحابها إذ الوجه عنوان عما يجده صاحبه من نعيم أو شقوة كما يقال: خرج بوجه غير الوجه الذي دخل به، وخاشعة: ذليلة يطلق الخشوع على المذلة قال تعالى: ﴿خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ (١) ، (٢) وإليه ذهب جمهور المفسرين (٣) .

عامِلَةٌ ناصِبَةٌ: وفيه عدة مسائل

الأولى: المعنى اللغوي لقوله (عامِلَةٌ) : والعمل : المِهْنة والفعل والجمع: أَعمال والعمالة : أجر ما عمل لك ، والعمل يستعمل في الأَعمال الصّالحة والسيّئة ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآَبٍ ﴾ (٤) وقال : ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ (٥) ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ﴾ (٦) وهم السعاة الذين يأخذون الصدقات من أربابها، واحدهم عامل وساع، واستعمل فلان إذا ولي عملاً، و أعمل رأيه وآلته ولسانه واستعمله : عمل به (٧) (٨) .

---

(١) المعارج ٤٤

(٢) التحرير والتنوير ٢٩٦/٣٠

(٣) المحرر الوجيز ٤٧٢/٥، الكشاف ٤٧٢/٤، تفسير البغوى ٢٤٤/٥، الكشف والبيان للثعلبي ١٨٧/١٠، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ٣٢٥/١٥، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤١٥ هـ

(٤) الرعد ٢٩

(٥) العنكبوت ٤

(٦) التوبة ٦٠

(٧) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١٠١/٤، مادة: عمل، العين ١٥٣/٢، باب العين واللاّم والميم، تهذيب اللغة ٢٥٥/٢،مقاييس اللغة١٤٥/٤، المحكم والمحيط الأعظم١٧٩/٢، مادة: عمل، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٤٧٥٢/٧

(٨) المفردات في غريب القرآن ١ / ٨٠٨ ، مادة : نصب ، إصلاح الوجوه والنظائر ٤٥٨/١، مادة: نصب، أساس البلاغة ٢٧٤/٢، مادة: نصب

الثانية : أقوال السلف في بيان معنى ﴿عامِلَةٌ ناصِبَةٌ﴾ورد عن السلف في " عامِلَةٌ ناصِبَةٌ " وجهان:

أحدهما : روى عن ابن عباس قال: هم الذين أنصبوا أنفسهم في الدنيا على معصية الله عز وجل ، وعلى الكفر، مثل عبدة الأوثان، وكفار أهل الكتاب مثل الرهبان وغيرهم، لا يقبل الله جل ثناؤه منهم إلا ما كان خالصا له، وعن عكرمة، وَالسُّدِّيِّ: عاملة في الدنيا بالمعاصي تنصب في النار يوم القيامة بالعذاب والأغلال .

الثاني : أنها تكبرت في الدنيا عن طاعة الله تعالى، فأعملها في النار بالانتقال من عذاب إلى عذاب، روى سعيد عن قتادة: عاملة ناصبة قال: تكبرت في الدنيا عن طاعة الله عز وجل، فأعملها الله وأنصبها في النار، بجر السلاسل الثقال، وحمل الأغلال، والوقوف حفاة عراة في العرصات، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة. قال الحسن وسعيد بن جبير: لم تعمل لله في الدنيا، ولم تنصب له، فأعملها وأنصبها في جهنم. وقال الكلبي: يجرون على وجوههم في النار، وعنه وعن غيره: يكلفون ارتقاء جبل من حديد في جهنم، فينصبون فيها أشد ما يكون من النصب، بمعالجة السلاسل والأغلال والخوض في النار، كما تخوض الإبل في الوحل، وارتقائها في صعود من نار، وهبوطها في حدور منها، إلى غير ذلك من عذابها.

روى عن ابن عباس قال: (عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ) فإنها تعمل وَتَنْصَب من النار. وروى عن أبي رجاء، قال: سمعت الحسن، قرأ: (عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ) قال: لم تعمل لله في الدنيا، فأعملها في النار، وروى مثل هذا عن قتادة، وابن زيد.

قال الماوردي [١] : ويحتمل وجهاً ثالثاً في " عامِلَةٌ ناصِبَةٌ ": أي باذلة للعمل بطاعته إن ردّت، "ناصبة": أي ناصبة بين يديه تعالى مستجيرة بعفوه [٢] .

الثالثة: أقوال المفسرين في ﴿عامِلَةٌ ناصِبَةٌ﴾ قال الإمام النيسابوري: والعمل والنصب أي التعب. قيل: كلاهما في الآخرة وهو الأظهر لقوله "يَوْمَئِذٍ" أي تعمل في النار عملاً تتعب فيه وهو جرها السلاسل والأغلال وخوضها في النار خوض الدابة في الوحل وتردّدها في صعود من نار وحدور منها، قال الحسن: كان يجب عليها أن تعمل لله في الدنيا خاشعة ناصبة فلما قصر في ذلك وقع في مثله بعد المفارقة إلى أن يشاء الله ليكون معارضاً بنقيض مقصودة، قال الحسن: هذه الصفات كان يجب أن تكون حاصلة في الدنيا لأجل الله تعالى، فلما لم تكن كذلك سلطها الله عليهم يوم القيامة على سبيل العقاب.

وقيل: كلاهما في الدنيا وهم أصحاب الصوامع خشعت وجوههم لله وعملت ونصبت في أعمالها من غير نفع لهم في الآخرة، لأن أعمالهم مبنية على غير أساس من الدين الحنيفي، وقيل: عملت في الدنيا أعمال السوء فهي في نصب منها في الآخرة [٣] .

---

(١) الإمام العلامة ، أقضى القضاة أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري ، الماوردي ، الشافعي ، صاحب التصانيف، مات خمسين وأربعمائة، سير أعلام النبلاء ١٨/٦٤

(٢) جامع البيان ٣٨٢/٢٤، النكت والعيون ٢٨٥/٦، الدر المنثور ٤٩١/٨، معالم التنزيل ٢٤٥/٥، تفسير القرطبى، ٢٧/٢٠،

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ٤٨٩/٦، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات – دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٦ هـ

قال مكي ابن أبى طالب [١] : وكان عمر ﷺ يتأولها في الدنيا في الرهبان وشبههم. يعملون في الدنيا، ويجتهدون، وهم في النار [٢] .

وذهب الفخر الرازي إلى أن بعض تلك الصفات حاصل في الآخرة وبعضها في الدنيا حيث قال: وذلك من وجوه:

أحدها: أنها خاشعة في الآخرة، مع أنها كانت في الدنيا عاملة ناصبة، والمعنى أنها لم تنتفع بعملها ونصبها في الدنيا، ولا يمتنع وصفهم ببعض أوصاف الآخرة، ثم يذكر بعض أوصاف الدنيا ثم يعاد ذكر الآخرة، إذا كان المعنى في ذلك مفهوما فكأنه تعالى قال: وجوه يوم القيامة خاشعة، لأنها كانت في الدنيا عاملة ناصبة في غير طاعة الله، فهي إذن تصلى نارا حامية في الآخرة

ثانيها: أنها خاشعة عاملة في الدنيا، ولكنها ناصبة في الآخرة، فخشوعها في الدنيا خوفها الداعي لها إلى الإعراض عن لذائذ الدنيا وطيباتها، وعملها هو صلاتها وصومها ونصبها في الآخرة هو مقاساة العذاب على ما قال تعالى: ﴿وَبَدا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [٣]، [٤] وإليه ذهب أبوحيان [٥] ، والنسفي[٦] ،

(١) العلامة المقرئ ، أبو محمد ، مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار ، القيسي القيرواني ، ثم القرطبي ، صاحب التصانيف ، ولد بالقيروان سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، كان من أوعية العلم مع الدين والسكينة والفهم، توفي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة، سير أعلام النبلاء ١٧/٥٩١

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب ٨٢١٩/١٢، تحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي –جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، ط/مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

(٣) الزمر ٤٧

(٤) مفاتيح الغيب ١٣٩/٣١

(٥) البحر المحيط ٤٦٢/١٠

(٦) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي ٦٣٣/٣، تحقيق، يوسف علي بديوي – دار الكلم الطيب، بيروت، الأولى، ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م

والشوكاني [١]، وابن عاشور [٢] وهو مذهب جمهور المفسرين.

تَصْلى نَارًا حامِيَةً : وفيه عدة مسائل

الأولى : المعنى اللغوي لقوله "تَصْلى" أصل الصَّلْيُ الإيقادُ بالنار وصلي بالنار ، وصليها صلى من باب تعب وجد حرها ، صلى بالنار يصلى أي لزمها واحترق بها ، وصلى اللحم وغيره يصليه صلياً : شواه، والصلاء ، بالمد والكسر : الشواء لأنه يصلى بالنار والصلاة، هي الدعاء، والتبريك [٣] .

نَارًا : النُّور : هُوَ الضياء، والنار تقال للهيب الذى يبدو للحاسة نحو قوله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ [٤] ، وللحرارة المجردة؛ ولنار جهنم قال تعالى ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [٥] وقال بعضهم: النار والنور من أصل واحد، وهما كثيراً ما يتلازمان، لكن النار متاع للمقوين في الدنيا، والنور متاع للمتقين في الدنيا والآخرة، ولأجل ذلك استعمل في النور الاقتباس، فقال: ﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [٦] .

(١) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني اليمني ٥٢١/٥، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الأولى، ١٤١٤ هـ

(٢) التحرير والتنوير ٢٩٦/٣٠

(٣) المصباح المنير ٣٤٦/١، مادة: صلى، لسان العرب ٤٦٨/١٤، مادة صلى، تاج العروس ٤٤٠/٣٨، المفردات ٤٩٢/١، مادة: صلى، بصائر ذوي التمييز ٤٣٥/٣، مادة: صلى

(٤) الواقعة ٧١

(٥) الحج ٧٢

(٦) الحديد ١٣

الثانية : والنار في القرآن على وجهين :

الأول : مثل وهو قوله تعالى: (كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ) والعرب تشبه الحرب بالنار، الثاني: النار بعينها، قال تعالى: ﴿آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ (١) ، (٢) .

حامِيَةً : مسعرة آنية قد انتهى حرها، وحمي الشيء يحمى حميا إذا سخن والحامية: الحارة. وأحميت الحديد إحماء، وحميت على فلان، أي: غضبت عليه (٣) .

الثالثة : أقوال السلف في قوله ﴿تَصْلى نَارًا حامِيَةً﴾

أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: (تَصْلى نَارًا حامِيَةً) قال: حارة (٤)

الرابعة: أقوال المفسرين في ﴿تَصْلى نَارًا حامِيَةً﴾

قال القرطبي: أي يصيبها صلاؤها وحرها، حامية شديدة الحر، أي قد أوقدت وأحميت المدة الطويلة (٥) وهذا قول جمهور المفسرين (٦)

الخامسة : السر في وصف لنار بالحامية: قال الماوردي: فإن قيل فما معنى صفتها بالحماء وهي لا تكون إلا حامية وهو أقل أحوالها، فما

---

(١) القصص ٢٩

(٢) بصائر ذوي التمييز ٥/ ١٣٦، مادة: نور، نزهة الأعين النواظر ٥٩٩/١، باب النور، الوجوه والنظائر ٤٦٨/١،

(٣) العين الخليل بن أحمد الفراهيدي ٣١٤/٣، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، ط/ دار ومكتبة الهلال، تهذيب اللغة ١١/٤، المفردات في غريب القرآن ٢٥٩/١،

(٤) جامع البيان ٣٨٣/٢٤، الدر المنثور ٤٩١/٨، تفسير عبد الرزاق ٤٢٠/٣، تفسير ابن أبى حاتم ٣٤٣٠/١٠، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الثالثة، ١٤١٩ هـ

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٩/٢٠

(٦) البحر المحيط ٤٦٢/١٠، لباب التأويل في معاني التنزيل ٤٢٠/٤، المحرر الوجيز ٤٧٣/٥، روح المعاني ٣٢٥/١٥، نوار التنزيل وأسرار التأويل ٣٠٧/٥

وجه المبالغة بهذه الصفة الناقصة ؟ قيل قد اختلف في المراد بالحامية ها هنا على أربعة أوجه: أحدها: أن المراد بذلك أنها دائمة الحمى وليست كنار الدنيا التي ينقطع حميها بانطفائها. الثاني: أن المراد بالحامية أنها حمى يمنع من ارتكاب المحظورات وانتهاك المحارم، كما قال النبي ﷺ " فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ " [1] ، الثالث: معناه أنها تحمي نفسها عن أن تطاق ملامستها أو ترام مماستها كما يحمي الأسد عرينه، ومثله قول النابغة [2] :

تَعْدُو الذِّئَابُ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَتَّقِي صَوْلَةَ الْمُسْتَأْسِدِ الْحَامِي[3]

الرابع : أنها حامية مما غيظ وغضب ، مبالغة في شدة الانتقام ولم يرد حمي جرم وذات ، كما يقال : قد حمي فلان : إذا اغتاظ وغضب عند إرادة الانتقام . وقد بين الله تعالى بقوله هذا المعنى فقال : ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ [4] ، [5] .

قال ابن عاشور: ووصف النار ب "حامية" لإفادة تجاوز حرها

---

(١) صحيح البخاري، بَابُ فَضْلِ مَنِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، (٥٢)، مسلم، بَابُ أَخْذِ الْحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ، (١٥٩٩)

(٢) زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، توفى سنة ٦٠٤ م، معجم الشعراء العرب، صـ٨٥٣

(٣) نسب البيت غالبًا للنابغة الذبياني، لكن (ديوان النابغة)- تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم لم يضمّ هذا البيت في قصيدته التي مطلعها :

قالت بنو عامر : خالوا بني أسَد .:. يا بؤسَ للجهلِ ضرّارًا لأقوام

ومن المصادر التي نسبت البيت للنابغة : لسان العرب ، مادة " ثفر " ٤ / ١٠٥، وتهذيب اللغة ١٥ / ٥٧ (أَبْوَاب الثَّاء وَالرَّاء) .

(٤) الملك ٨

(٥) النكت والعيون ٢٥٩/٦ .

المقدار المعروف لأن الحمي من لوازم ماهية النار فلما وصفت ب حامية كان دالا على شدة الحمى قال تعالى : ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ (١) .

السادسة : والسّر في ذكر النار بعد قوله "تصلى" : لزيادة التهويل والإرهاب وليجري على "ناراً" وصف حامية (٢) .

تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ : وفيه عدة مسائل

الأولى : المعنى اللغوي لقوله "تُسْقَى" السَّقْى والسُّقْيَا: أَن تعطيه ما يشرب، السُّقيا اسم السَّقي، والسِّقاء: القربة للماء واللبن، والسِّقاية: الموضع يتخذ فيه الشراب في المواسم وغيرها. والسِّقاية: في القرآن: الصواع الذي كان يشرب فيه الملك، والاستسقاء : طلب السَّقى أَو الإسقاء(٣) .

عَيْنٍ: العين: من الأسماء المشتركة، والأصل فيها: العين الباصرة، ثم هي بالوضع العرفي منقولة إلى مواضع، فيقال العين: "ويراد بها الذات" ويقال العين: ويراد بها منابع الماء. والماء المعين: الظاهر للعيون، وأعيان القوم: أشرافهم،

آنِيَةٍ : الآنية : المتناهية في الحر ، أَنَى وآن الشيء : قرب إناه ، و﴿حَمِيمٍ آنٍ﴾ (٤) ، بلغ إناه من شدة الحر ، ويقال : آنَيْتُ الشيء أُنِيّاً ، أي: أخّرته عن أوانه ، وتَأَنَّيْتُ : تأخّرت ، والأَنَاة: التؤدة (٥) .

---

(١) التحرير والتنوير ٣٩٦/٣٠

(٢) التحرير والتنوير ٣٩٦/٣٠

(٣) العين ١٩٠/٥، باب القاف والسين، جمهرة اللغة، ٨٥٣/٢، مادة: سقى، مجمل اللغة ٤٦٧/١، مادة: سقى، المحكم والمحيط، ٤٨٩/٦، بصائر ذوي التمييز ٢٣٢/٣، الوجوه والنظائر

(٤) الرحمن ٤٤

(٥) المفردات في غريب القرآن ٩٦/١، مادة: أنى، معجم مقاييس اللغة ١٤٣/١، مادة: أنى، مجمل اللغة لابن فارس ١٠٤/١

الثانية: أقوال السلف في قوله ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ وفيه ثلاثة أقوال

الأول : حاضرة، روى عن ابن زيد قال: آنية: حاضرة، من قولهم: آنى الشيء حضر

الثاني : قد بلغت إناها وحان شربها، قاله مجاهد.

الثالث : يعني قد أنى حرها فانتهى واشتد، عن ابن عباس، وقتادة، والحسن و السدي (تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) قال: هي التي قد أطال أنينها، وعن الحسن، قال: أنَى طبخها منذ يوم خلق الله الدنيا [١] .

الثالثة : أقوال المفسرين في ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ وتسقى إذا عطشوا من ماء عين أي ينبوع، آنية، أي متناهية في حرها، فهي لا تطفئ لهم عطشاً.

قال القرطبي: متناهية في الحرارة قد أوقدت عليها جهنم مذ خلقت لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت فيدفعون إليها ورودا عطاشا، فهذا شرابهم [٢] وهذا مذهب جمهور المفسرين [٣] .

الخامسة : السّر في ذكر الماء وتقديمه على الطعام : وإنما قدّم المشروب على الضريع المطعوم لأن الماء يناسب النار مناسبة الضدين أو الشبيهين من حيث بساطتهما، أو لأنهم إذا أثر فيهم حر النار غلب عليهم العطش وكان الماء عندهم أهم، ثم إذا أثرت فيهم الحرارتان أرادوا

(١) جامع البيان ٣٨٣/٢٤، النكت والعيون ٢٥٩/٦، تفسير عبد الرزاق ٤٢٠/٣، الدر المنثور ٤٩٢/٨

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٩/٢٠

(٣) التحرير والتنوير ٢٩٧/٣٠، البحر المحيط ٤٦٢/١٠، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن ٤٢١/٤، مفاتيح الغيب ١٤٠/٣١، المحرر الوجيز ٤٧٣/٥، معالم التنزيل ٢٤٥/٥

أن يدفعوا ألم الإحساس بها بما يزيد العذاب على البدن [١] .

لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ : وفيه عدة مسائل

الأولى: المعنى اللغوي لقوله " لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ" كل ما أكل للشبع أو للشهوة مما فيه صلاح للبدن فهو طعام والطعم: المذاق؛ يقال: هو طيب الطعم وفلان خبيث الطعمة؛ أي: رديء المكسب.

ضَرِيعٍ : والضريع: يابس الشِّبْرِقِ وهو نبت ذو شوك إذا كان رطباً فإذا يبس سمي ضريعاً وحينئذ يصير مسموماً وهو مرعى للإبل ولحمر الوحش إذا كان رطباً، فما يعذب بأهل النار بأكله شبه بالضريع في سوء طعمه وسوء مغبته، ويقال للرجل إذا استكان وخضع وذل: ضرع [٢] .

الثانية : أقوال السلف في قوله ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ﴾ روى عن السلف فيه عدة أقوال: الأول: أنها شجرة تسميها قريش الشبرق، كثيرة الشوك، قاله ابن عباس، قال قتادة وإذا يبس في الصيف فهو ضريع، عن عكرمة، في قوله: (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إلا مِنْ ضَرِيعٍ) قال: هي شجرة ذات شوك، لاطئة بالأرض، فإذا كان الربيع سمَّتها قريش الشِّبرق، فإذا هاج العود سمتها الضَّريع. قال أبو ذؤيب [٣] .

رَعَــى الشِّــبْرِقَ الرَّيَّــانَ حَتَّــى إِذَا ذَوَى وَعَــادَ ضَــرِيعًا عَــادَ عَنْــهُ النَّحَــائِصُ [٤]

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري ٤٨٩/٦

(٢) بصائر ذوي التمييز٣ /٤٧٣، مادة: ضرع، المفردات ٥٠٦/١، مادة: ضرع، أساس البلاغة ٥٨٠/١، مادة: ضرع،

(٣) أبو ذؤيب الهذلى وهو خويلد بن خالد بن محرث بن زبيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد ابن هذيل، طبقات فحول الشعراء ،صـ١٢٣

(٤) لم أعثر على هذا البيت في ديوان أبي ذؤيب. أي: رعى البعير الشبرق الريان، أي: الشوك الرطب. وذوي يذوى ذويا: ذبل ذبولاً. وذوي كرضى أنكرها الجوهري، وأثبتها أبو عبيدة، أي: حتى إذا جف وصار ضريعاً يابساً يتفتت بان عنه، أي: بعد عنه النحائص: جمع نحوص وهي الناقة الحائل، لعلها أنه لا يسمن ولا يغنى من جوع، هامش تفسير الكشاف ٧٤٢/٤،مقاييس اللغة ٤٠٢/٥، مادة نحص،

الثاني : أنها الحجارة، قاله ابن جبير.

الثالث : أنه شجر من نار، قال ابن زيد ، في قوله : (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلا مِنْ ضَرِيعٍ) قال : الضريع : الشَّوك من النار . قال : وأما في الدنيا فإنَّ الضريع : الشوك اليابس الذي ليس له ورق ، تدعوه العرب الضريع ، وهو في الآخرة شوك من نار .

الرابع : أن الضريع بمعنى المضروع ، وهو طعام يضرعون عنده ويذلون ، ويتضرعون منه إلى الله تعالى ، طلباً للخلاص منه، فسمي بذلك، لأن آكله يضرع في أن يعفى منه، لكراهته وخشونته [1] .

الرابعة : أقوال المفسرين في ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ﴾ .

قال الإمام الزمخشري: يعنى: أنّ طعامهم من شيء ليس من مطاعم الإنس، وإنما هو شوك، والشوك مما ترعاه الإبل وتتولع به، وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه، ومنفعتا الغذاء منتفيتان عنه: وهما إماطة الجوع، وإفادة القوّة والسمن في البدن، أو أريد: أن لا طعام لهم أصلاً، لأن الضريع ليس بطعام للبهائم فضلاً عن الإنس، لأن الطعام ما أشبع أو أسمن، وهو منهما بمعزل [2] ، وهو مذهب عامة المفسرين [3] .

الخامسة : ما الحكمة من ذكر الماء والطعام؟:

والمقصد من ذكر هذا الشراب وهذا الطعام، بيان نهاية ذلهم وذلك لأن القوم لما أقاموا في تلك السلاسل والأغلال تلك المدة الطويلة عطاشاً جياعاً، ثم ألقوا في النار فرأوا فيها ماءً وشيئاً من النبات، فأحب أولئك

(١) جامع البيان، ٣٨٥/٢٤، النكت والعيون ٢٦٠/٦، الدر المنثور ٤٩٢/٨، زاد المسير في علم التفسير ٤٣٥/٤

(٢) الكشاف ٧٤٣/٤

(٣) الكشاف ٧٤٢/٤، المحرر الوجيز ٤٧٣/٥، تفسير القرطبي ٣١/٢٠، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣٠٧/٥، البحر المحيط ٤٦٢/١٠، التحرير والتنوير ٢٩٧/٣٠

القوم تسكين ما بهم من العطش والجوع فوجدوا الماء حميماً لا يروي بل يشوي، ووجدوا النبات مما لا يشبع ولا يغني من جوع، فأيسوا وانقطعت أطماعهم في إزالة ما بهم من الجوع والعطش، كما قال: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (١) وبين أن هذه الحالة لا تزول ولا تنقطع، نعوذ بالله منها (٢) .

السابعة : وجه الجمع بين قوله تعالى : في سورة الحاقة ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هاهُنا حَمِيمٌ ، وَلا طَعامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ (٣) وبين قوله تعالى هاهنا: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ﴾ والضريع غير الغسلين .

والجواب : من وجوه الأول : أن النار دركات فمن أهل النار من طعامه الزقوم ، ومنهم من طعامه الغسلين ، ومنهم من طعامه الضريع ، ومنهم من شرابه الحميم ، ومنهم من شرابه الصديد ، لكل باب منهم جزء مقسوم (٤) .

الثاني: يحتمل أن يكون الغسلين من الضريع ويكون ذلك كقوله: ما لي طعام إلا من الشاه، ثم يقول: ما لي طعام إلا من اللبن، ولا تناقض لأن اللبن من الشاة.

الثالث: يجوز أن تحمل الآيتان على حالتين كما قال:﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آَنٍ﴾ (٥) .

الرابع: يجوز أن يكون الضريع وشجرة الزقوم نبتين من النار، أو من جوهر لا تأكله النار، وكذلك سلاسل النار وأغلالها وعقاربها

(١) الكهف ٢٩
(٢) مفاتيح الغيب ١٤٠/٣١
(٣) الحاقة ٣٥،٣٦
(٤) تفسير القرطبي ٢٠ / ٢١ ، تفسير الخازن ٤ / ٤٢١ ، الهداية إلى بلوغ النهاية ٨٢٢٢/١٢ .
(٥) الرحمن ٤٤

وحياتها، ولو كانت على ما نعلم ما بقيت على النار، قال: وإنما دلنا الله على الغائب عنده، بالحاضر عندنا، فالأسماء متفقة الدلالة، والمعاني مختلفة [١] .

الثامنة: كيف يوجد النبت في النار؟ الجواب: من وجهين : الأول : ليس المراد أن الضريع نبت في النار يأكلونه، ولكنه ضرب مثله، أي أنهم يقتاتون بما لا يشبعهم أو يعذبون بالجوع كما يعذب من قوته الضريع الثاني: لم لا يجوز أن يقال: إن النبت يوجد في النار؟ فإنه لما لم يستبعد بقاء بدن الإنسان مع كونه لحماً ودماً في النار أبد الآباد، فكذا هاهنا وكذا القول في سلاسل النار وأغلالها وعقاربها وحياتها [٢] .

قال صاحب أضواء البيان: وهذا وإن كان وجيها من حيث منطق القدرة، ولكن القرآن قد صرح بأن النار فيها شجرة الزقوم، وأنها فتنة للظالمين في قوله: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ [٣] ، فأثبت شجرة تخرج في أصل الجحيم، وأثبت لها لازمها وهو: طلعها في تلك الصورة البشعة، وأثبت لازم اللازم وهو : أكلهم منها حتى ملء البطون.

والحق أن هذا السؤال وجوابه قد أثاره المبطلون، ولكن غاية ما في الأمر سلب خاصية الإحراق في النار عن النبات، وليس هذا ببعيد على قدرة من خلق النار وجعل لها الخاصية .

وقد وجد نظيره في الدنيا فتلك نار النمروذ، كانت تحرق الطير في

(١) مفاتيح الغيب ١٤٠/٣١

(٢) مفاتيح الغيب ١٤٠/٣١

(٣) الصافات ٦٢-٦٦

الجو إذا اقترب منها، وعجزوا عن الدنو إليها ؛ ليلقوا فيها إبراهيم ووضعوه في المنجنيق ورموه من بعيد، ومع ذلك حفظه الله منها بقوله تعالى لها: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (١) ، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء (٢) .

التاسعة : ووصف "ضريع" بأنه لا يسمن ولا يغنى، لتشويهه، وأنه تمحض للضر، فلا يعود على آكليه بسمن يصلح بعض ما التفح من أجسادهم، ولا يغني عنهم دفع ألم الجوع، ولعل الجوع من ضروب تعذيبهم فيسألون الطعام فيطعمون الضريع فلا يدفع عنهم ألم الجوع (٣) .

﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ وفيه عدة مسائل:

الأولى : قال المفسرون: لما نزلت هذه الآية قال المشركون: إن إبلنا لتسمن على الضريع، فأنزل الله تعالى: ﴿لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ وكُذِّبوا﴾، فإن الإبل إنما ترعاه ما دام رطباً، وحينئذ يسمَّى شِبْرِقاً، لا ضريعاً، فإذا يبس وسمّي ضريعاً لم يأكله شيء(٤) .

الثانية: المعنى اللغوي لقوله "لَا يُسْمِنُ" والسِّمَن، بكسر السين وفتح الميم: وفرة اللحم والشحم للحيوان يقال: أسمنه الطعام، إذا عاد عليه بالسمن. والسِّمَن: ضد الهزال. وهو سمين من سمان. وأسمنته وسمنته: جعلته سمينا (٥) .

وَلَا يُغْنِي : الغِنَى، مقصور، في المال والغَناءُ: الاستغناء والكفاية،

(١) الأنبياء ٦٩

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي ،٥١٤/٨

(٣) التحرير والتنوير ٣٠ / ٢٩٧ .

(٤) زاد المسير ٤٣٥/٤

(٥) بصائر ذوي التمييز ٢٦١/٣، مادة: سمن، المفردات ٤٢٧/١، مادة: سمن، أساس البلاغة ٤٧٥/١، مادة: سمن

والإغناء: الإكفاء ودفع الحاجة والغانية من النساء: التي غنيت بالزوج. وقيل هي التي غنيت بحسنها عن الحلي. وغَنِيَ عنه: لم يحتج إليه ما أغْنَى عنه شيء: ما يجدي عنه وما ينفعه شيء [١] .

جُوعٍ : الجوع : الجوع ضد الشبع ، وهو اسم جامعٌ للمخمصة [٢] .

الثالثة: أقوال المفسرين في الآية : هذه الجملة صفة لضريع، ولطعام نفي عنه منفعة الطعام وهي التسمين وإزالة الجوع، يعني الضريع لا يسمن آكله، وكيف يسمن من يأكل الشوك، قال المفسرون: لما نزلت هذه الآية قال المشركون: إن إبلنا لتسمن بالضريع، فنزلت: لا يسمن ولا يغني من جوع. وكذبوا، فإن الإبل إنما ترعاه رطبا، فإذا يبس لم تأكله، وقيل اشتبه عليهم أمره فظنوه كغيره من النبت النافع، لأن المضارعة المشابهة، فوجدوه لا يسمن ولا يغني من جوع [٣] وإليه ذهب جمهور المفسرين [٤] .

ما يستفاد من الآيات :

١ – القيامة يوم رهيب، يغشى الناس فيه غاشية شديدة من الأهوال والمخاوف .

---

(١) أساس البلاغة ٧١٥/١، مادة: غنى، العين ٤٥١/٤، باب الغين والنون، تهذيب اللغة ١٧٤/٨، الصحاح ٢٤٥٠/٦، مادة: غنى، المحكم والمحيط ١٨/٦، باب: الغين والنون والياء

(٢) العين ١٦٨/٢، باب: العين والجيم، تهذيب اللغة ٣٤/٣، باب: العين والجيم، مقاييس اللغة ٤٥٩/١، مادة: جول، المخصص علي بن إسماعيل بن سيده المرسى ٤٥٣/١، باب: الجوع، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م

(٣) تفسير القرطبي ٣٢/٢٠، تفسير البيضاوي ٣٠٧/٥، غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابورى ٤٩٠/٦

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي الغرناطي٤٧٧/٢، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت – الأولى – ١٤١٦ هـ، البحر المحيط ٤٦٣/١٠، التحرير والتنوير ٢٩٨/٣٠

٢ – تكون وجوه الكفار في ذلك اليوم ذليلة بالعذاب، خاضعة للعقاب ، وقد كان أصحابها في الدنيا يعملون ويتعبون أنفسهم.

٣ – مكان المعاندين هو النار الشديدة الحر، ومشروبهم هو ﴿مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ أي من ينبوع ماء متناه في الحرارة، ومطعومهم الضريع الذي لا يسمن آكله، ولا يدفع الجوع عنه

المطلب الثاني

أحوال أهل الجنة من المؤمنين المخلصين

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ* وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾

مناسبة الآيات لما قبلها :

بعد بيان وعيد الكفار الأشقياء، وبيان حالهم ومكانهم وطعامهم وشرابهم، ذكر الله تعالى أحوال المؤمنين السعداء، وما وعدهم به ربهم، واصفاً ثوابهم وأهل الثواب ، ثم وصف دار الثواب ، لترغيب الناس بأعمالهم، وتشويقهم لما يلاقونه من فضل ربهم، فعرض لما في هذه الجنة العالية من ألوان النعيم

معاني الآيات :

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ : في نعمة وكرامة، والتَنَعُّم: التَّرَفُّه [١] .

لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ : رضيت بثواب عملها، حين أُعطيت الجنَّة [٢] .

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ : مكانة ومنزلة [٣] .

(١) بصائر ذوي التمييز ٥/٩٠، مقاييس اللغة ٥/٤٤٦، مادة: نعم

(٢) مقاييس اللغة ٢/٤٠٢، مادة: رضى

(٣) المفردات ١/٢٠٥، مادة: رضى

لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً : لا تسمع فيها كلمة لغو [١] .

فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ : أي عظيمة الجري جداً، بحيث لا تنقطع أصلاً[٢] .

فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ : جمع سرير وهو مقعد عال يجلس عليه الملك ينقل إلى الموضع الذي يشتهيه ، سمي بذلك لأنه يسر النفس [٣] .

وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ : الأكواب آنية شبيهة بالأباريق لا عرى لها ، حاضرة [٤] .

وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ : أَيْ : وسائد بعضها بجنب بعضٍ [٥] .

وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ: هي البسط والطَّنافس {مبثوثة} مفرَّقة في المجالس [٦] .

الاشتقاق الصرفي والأصل اللغوي للمفردات:

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ : ناعمة: مؤنث ناعم، اسم فاعل من الثلاثي نعم وزنه فاعل النَّعِيمُ والنُّعْمَى والنَّعْمَاء والنِّعْمَة كله : الخفض والدعة والمال، وهو ضد البأساء والبؤسى والنِّعْمَةُ اليد والصنيعة والمنة وما أنعم به عليك وكذا النُّعْمَى فإن فتحت النون مددت فقلت: النعماء، والنعيم مثله، وجمع النِّعْمَةِ نِعَمٌ وأَنْعُمٌ قال النابغة :

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ٢٠ / ٢٩٧ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

(٢) بصائر ذوى التمييز ٦/٤، مادة: عين

(٣) المفردات ٤٠٥/١، مادة: سرر

(٤) معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج٣١٨/٥، تحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

(٥) لسان العرب ٣٦١/١٠، فصل النون

(٦) التَّلخِيص في مَعرفَةِ أسمَاءِ الأشياء، أبو هلال العسكري ١٥٩/١، تَحقيقِ: الدكتور عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الثانية، ١٩٩٦ م

فَلَـنْ أَذْكُـرَ النُّعْمَـانَ إِلَّـا بِصَـالِحٍ فَـإِنَّ لَـهُ عِنْـدِي يُـدِيّاً وَأَنْعُمَـا (١)

لِسَـعْيِهَا رَاضِـيَةٌ : لِسَـعْيِهَا : السَّـعْي: مصـدر سَـعَى يسـعَى سَـعْياً والسَّـعْيُ: عَـدْوٌ لـيس بشـديد وكـل عمـل مـن خيـر أو شـر فهـو السَّـعْيُ، والسّعي: العمل، والمسعاة في الكرم والجود، والساعي : الذي يتولى قبض الصدقات، والجمع : سعاة (٢) .

رَاضِيَةٌ : رِضاً بالكسر مقصوراً مصدر محض، وأما بالمد فهو اسم، أو مصدر راضاه رضاء؛ الرِضْوانُ: الرِضا، وكذلك الرُضْوانُ بالضم. ورضيت الشيء وارْتَضَيْتُهُ فهو مَرْضِيٌّ (٣) .

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ :

فِي جَنَّةٍ : الْجنَّة : الأَرْض ذَات الشّجر وَالنَّخْل، وَلَا تسمى جنَّة حَتَّى يجنها الشّجر أَي يَسْتُرهَا وَيُقَال: جنّه اللَّيْل وأجنّه وجنّ عَلَيْهِ، إِذا ستره وغطاه، وكل شَيْء استتر عَنْك فقد جنّ عَنْك، الجِنُّ: جماعةُ ولد الجانّ، وجَمْعُهُم: الجِنَّةُ، والجانُّ، وَإِنَّمَا سُمُّوا جناً لأَنّهُمُ اسْتَجنُّوا من النَّاس، فَلَا يُرَوْنَ، والجنان: القلب؛ لاستتاره في الصدر (٤) .

عَالِيَةٍ : علو كل شيء وعلوه وعاليته: ارفعه، عَلا في المكان يَعْلو

(١) المحكم والمحيط الأعظم ١٩٤/٢، مادة: نعم، أساس البلاغة ٢٨٧/٢، مادة: نعم، شمس العلوم ٦٦٧٤/١٠، مادة: نعم، مختار الصحاح ٣١٤/١، مادة: نعم، لسان العرب ٥٧٩/١٢، مادة: نعم

(٢) العين٣ /٢٠٢، باب العين والسين، جمهرة اللغة٨٤٤/٢، مادة: سعى، تهذيب اللغة٩٥/٣، مادة: سعى، الصحاح تاج اللغة ٢٣٧٧/٦، مادة: سعى

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي ١٥٨/٣٨، ط/ دار الهداية، مختار الصحاح ١٢٤/١، مادة: رضا، الصحاح تاج اللغة ٢٣٥٨/٦، مادة: رضا

(٤) جمهرة اللغة ١ / ٩٢ ، مادة : جن ، تهذيب اللغة ١٠ / ٢٦٦ ، مادة : جن ، الصحاح تاج اللغة ٥ / ٢٠٩٣ ، مادة : جنن ، مقاييس اللغة ١ / ٤٢١ ، مادة : جن ، المحكم والمحيط ٧ / ٢١٢ ، باب : الجيم والنون .

عُلوًّا، وعَلِيَ في الشرف بالكسر يَعْلى عَلاءً. وفلانٌ من عِليةِ الناس، وهو جمع، ورجل عليّ، أي شريف رفيع، وعلا في الأرض عُلوًّا: تكبَّر [١] .

لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً :

تَسْمَعُ: السَّمْعُ: الأُذُن، سَمْعُ الإنسان، يكون واحداً وجمعاً لأنَّه في الأصل مصدر قولك: سمعت الشيء سمعاً وسماعاً، وقد يجمع على أَسْماعٍ، واسْتَمَعْتُ كذا، أي أصغيت [٢] .

لَاغِيَةً : مؤنث لاغ ، اسم فاعل من (لغا يلغو) ، ولاغية فيه إعلال بالقلب أصله لاغوة ، قلبت الواو لتحركها بعد كسر ، وزنه فاعلة ، وقيل إن (لاغية) مصدر مثل العافية و لغَا يَلْغو لَغواً، قال باطلاً، اللاَّغيةُ واللَّوَاغي بِمَعْنى : اللغو: واللغو في الايمان : ما لا يُعقَد عليه القلب، اللغو، واللغا: السقط، وما لا يعتد به من كلام وغيره ، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع [٣] .

فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ :

عَيْنٌ : العين: حاسة الرؤية ، وهي مؤنَّثة ، والجمع أَعْيُنٌ وعُيونٌ وأَعْيانٌ . قال الشاعر [٤] :

قَدْ أَرُوعُ قُلُوبَ الْغَانِيَاتِ بِهِ حَتَّى يَمِلْنَ بِأَجْيَادٍ وَأَعْيَانِ

وتصغيرها عُيَيْنَة، وعَيْنُ الماء، وعَيْنُ الرُّكبة، والعينُ من السّحاب ما

(١) الصحاح تاج اللغة ٢٤٣٥/٦، مادة: علا، المحكم والمحيط ٣٥١/٢، باب: العين، اللام، الواو ، أساس البلاغة ٦٧٧/١ ، مادة : علو ، المصباح المنير ٢ / ٤٧٢ ، مادة : علو .

(٢) العين ٣٥٠/١ ، باب العين والسين والميم، تهذيب اللغة ٧٤/٢ (بَاب الْعين وَالسِّين مَعَ الْمِيم) الصحاح تاج اللغة ٣ / ١٢٣٢ ، مادة : سمع .

(٣) تهذيب اللغة ١٧٣/٨، باب: الغين واللام، الصحاح تاج اللغة ٢٤٨٤/٦، مادة لغا، المحكم والمحيط ٦١/٦، مادة: وغ، ل

(٤) البيت في معجم مقاييس اللغة غير منسوب لأحد، ١٩٩/٤، مادة: عين

أقبل عن يمينِ القِبْلة وَالْعين: التي يخرج مِنها الماء والعَيْنُ: الجاسوس [١] .

جَارِيَةٌ : الجَرْي : المرّ السريع ، جَرى الماء وغيره جَرْياً وجَرَياناً ، وأَجْرَيْتُهُ يقال : ما أشدّ جِرْيَةَ هذا الماء ، بالكسر ، والجارية : الشمس والجارية : السفينة [٢] .

فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ :

سُرُرٌ: السرير: الذي يجلس عليه معروف، والسَريرُ، جَمْعُهُ سُرُرٌ وَأَسِرَّةٌ، بضم الراء وبعضهم يفتحها استثقالا لاجتماع الضمتين مع التضعيف. وقد يعبر بالسرير عن الملك والنعمة، وَسَرِيرُ الرَّأس: مستقره والسِّرُّ ما أَخْفَيْتَ والجمع أسرارٌ [٣] .

مَرْفُوعَةٌ : الرَفْعُ: خلاف الوضع، يقال: رَفَعْتُهُ فارْتَفع، والرفع: تقريبك الشيء من الشيء ورُفِعَ لي الشَّيْء: أبصرته من بعد، والرِّفْعَةُ خلاف الضعة، ورجل رفيع الحسب والقدر [٤] .

وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ:

وَأَكْوَابٌ : الكُوبُ: كُوزٌ لا عروة له، والجميع: أكوابٌ، قال الفراء: الكوب الكوز المستدير الرأس الذي لا أذن له [٥] .

---

(١) العين ٢٥٥/٢، باب: العين، والنون، المُنَجَّد في اللغة، علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ «كراع النمل» ٣٣/١، مادة: والعين، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، دكتور ضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، القاهرة، الثانية، ١٩٨٨م، تهذيب اللغة ١٣٢/٣، باب: العين، والنون، الصحاح تاج اللغة ٢١٧٠/٦، مادة: عين

(٢) جمهرة اللغة ٤٦٩/١، مادة: جرى، الصحاح تاج اللغة ٢٣٠١/٦، مادة: جرى، مقاييس اللغة ٤٤٨/١، مادة: جرى، المحكم والمحيط ٥٠٤/٧، مادة جرى، أساس البلاغة ١٣٥/١، مادة: جرى

(٣) الصحاح تاج اللغة ٦٨٢/٢، مادة: سرر، مقاييس اللغة ٦٩/٣، مادة: سر، مختار الصحاح ١٤٦/١، مادة: سرر

(٤) الصحاح ١٢٢١/١٢، مادة: رفع، مقاييس اللغة ٤٢٤/٢، مادة: رفع، المحكم والمحيط ١٢١/٢، مادة: رفع، أساس البلاغة ٣٦٩/١، مادة: رفع

(٥) العين ٤١٧/٥، باب الكاف والباء، مختار الصحاح ٢٧٤/١، مادة: كوب، لسان العرب ٧٢٩/١، فصل: اللام، المصباح النير ٥٤٣/٢، مادة: كوب

مَوْضُوعَةٌ : مؤنث موضوع، اسم مفعول من الثلاثى وضع ووزنه مفعول،وهو ضدّ الرّفع، ومنه المَوْضِعُ، وضعت الشَّيْء أَضَعهُ وضعاً، وَهُوَ ضدّ رفعته. وَرجل وضيع، وَقد وضُع يَوْضُع وَضَاعة وضَعَةً، وَهُوَ ضدّ الشريف. والتَواضُعُ : التذلُّلُ [1] .

وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ :

وَنَمَارِقُ : جمع نمرقة، وزنه فعلة بضم الفاء واللام الأولى، وقد يكسران لغة، ووزن نمارق فعال بفتح الفاء وكسر اللام الأولى، وهي بضم النون والراء وبكسرهما، وبغير هاء، والنُّمْرُقُ والنُّمْرُقة والنِّمْرِقة، بالكسر: الوسادة، وقيل: وسادة صغيرة، وربما سموا الطنفسة التي فوق الرحل نمرقة [2] .

مَصْفُوفَةٌ : الصَّفّ: واحد الصُّفوف، والقوم المصطفون وتصافوا عليه: اجتمعوا صفاً، والصفصف: المستوي من الأرض، والطير الصّوافّ والصّافّات: التي تصفّ أجنحتها ولا تحركها [3] .

وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ : الزَّرَابِي: جمع زُرْبٍ، وهو ضرب من الثياب محبّر، والزرابي: البسط، وقيل: كل ما بسط واتكئ عليه؛ واحدتها زربية، والزرياب: الأصفر من كل شيء [4] .

مَبْثُوثَةٌ : مؤنث مبثوث، اسم مفعول من الثلاثي بثّ وزنه مفعول، والباء والثاء أصل واحد، وهو تفريق الشيء وإظهاره، بثثت الشيء أبثه:

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٢٣١/٥، تهذيب اللغة ٤٨/٣، مادة: وضع، الصحاح تاج اللغة ١٣٠١/٣، مادة: وضع، مجمل اللغة ٩٢٨/١، مادة: وضع، مقاييس اللغة ١١٨/٦، مادة: وضع

(٢) لسان العرب ٣٦١/١٠، فصل: النون

(٣) القاموس المحيط ٨٢٧/١، فصل الصاد، تاج العروس ٢٥/٢٤، مادة: ص، ف، شمس العلوم ٣٦٤١/٦، مادة: صف

(٤) تهذيب اللغة ١٣٧/١٣، مادة: زرب، أساس البلاغة ٤١٢/١، زرر، الجدول في إعراب القرآن ٣١٤

إذا فرقته، وبثثت الحديث، أي: نشرته، وبث المتاع في نواحي البيت إذا بسطه [١] .

البلاغة :

السجع الرصين : لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ، لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً، سجع رصين غير متكلف

إيهام الطباق : وبين مرفوعة وموضوعة، إيهام الطباق لأن حقيقة معنى الرفع ضد حقيقة معنى الوضع، ولا تضاد بين مجاز الأول وحقيقة الثاني ولكنه إيهام التضاد

الكناية : قوله " موضوعة" كناية عن عدم انقطاع لذة الشراب طعماً ونشوة، أي موضوعة بما فيها من أشربة [٢] .

القراءات القرآنية وتوجيهها :

قرأ نافع "لا تُسْمَعُ" بضم التاء و"لاغية " نائب فاعل، وأنت لا تسمع على لفظ اللاغية دون المعنى

وقرأه ابن كثير، وأبو عمرو، ورويس عن يعقوب ﴿لَا يُسْمَعُ﴾ بالياء مضمومة، وبرفع "لاغية" على ما لم يسم فاعله قالوا: لأن الخطاب ليس بمصروف إلى واحد وإنما ذكروا، واللاغية مؤنثة، لأن تأنيث اللاغية غير حقيقي أي: لغو قال اليزيدي: المعنى لا يسمع فيها من أحد لاغية، قال أبو عبيدة: "لاغية" أي لغواً ويجوز أن يكون صفة كأنه قال لا تسمع كلمة لاغية، وحجتهم أنها موافقة لإعراب رؤوس الآيات قبلها وبعدها من قوله (خاشعة) (عاملة ناصبة) وبعدها (عين جارية) (مرفوعة) (مصفوفة)

(١) تهذيب اللغة ٥٢/١٥، باب: الباء، والثاء، مقاييس اللغة ١٧٢/١، مادة: بث، أساس البلاغة ٤٤/١، مادة: بثث

(٢) التحرير والتنوير ٣٠٢/٣٠

فجرى على ذلك أيضاً، وحسنه وقوع الفصل بين الفعل وبين المسند إليه

وقرأه ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، وروح، عن يعقوب ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا﴾ بفتح التاء، وبنصب "لاغية" ، وحجتهم أنها تنصرف إلى وجهين

الأول: يجوز أن تسند السماع إلى الوجوه المذكورة لأن ذلك أتى عقيب الخبر على الوجوه الناعمة، إذ لم يعترض بين ذلك وبين الوجوه شيء يصرف إليه عنها والمعنى لأصحاب الوجوه الثاني: أن يكون على مخاطبة النبي ﷺ فكأنه قال لا تسمع يا محمد في الجنة لاغية بدلالة قوله ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [1] والتاء لخطاب غير المعين [2]

قال الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي، أن كلّ ذلك قراءات معروفات صحيحات المعاني، فبأيّ ذلك قرأ القارئ فمصيب [3] .

المعنى الإجمالي للآيات :

بعد أن وفى ﷻ الكفرة الفجرة حقهم، وصف أهل الإخلاص والصدق لتقرّ أعينهم بما سيلقون من فضله، ولإغراء الناس بها وترغيبهم في الحصول عليها إذا عملوا عمل أصحابها المستحقين لها، فأخبرنا بأن وجوه السعداء يوم القيامة ذات نعمة وبهجة ونضرة وحسن؛ لما شاهدوا من عاقبة أمرهم، وقبول عملهم، فهم في جنة رفيعة المكان، بهية الوصف، آمنة الغرفات لأن الجنة منازل ودرجات بعضها أعلى، ولا تسمع في كلام أهل الجنة كلمة لغو وهذيان لأنهم لا يتكلمون إلا بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم الدائم، ومن هذا النعيم ينبوع أو عين ماء تجري

---

(١) الإنسان ٢٠

(٢) المبسوط في القراءات العشر ٤٦٩/١، حجة القراءات ٧٦٠/١، الحجة للقراء السبعة ٤٠٠/٦، النشر في القراءات العشر ٤٠٠/٢، تفسير البغوى ٢٤٥/٥، المرر الوجيز ٤٧٤/٥، الكشاف ٧٤٤/٤

(٣) جامع البيان ٣٨٧/٢٤

مياهها وتتدفق بأنواع الأشربة المستلذة الصافية ، وفيها أسرة عالية مفروشة بما هو ناعم الملمس، وفيها أواني الشرب وأقداح الخمر غير المسكرة معدة مرصودة بين أيديها، يشربون منها متى أرادوا ، وفيها ووسائد مصفوفة بعضها إلى بعض، مبسوطة في المجالس، للجلوس عليها أو الاستناد إليها، فالوجوه الناعمة، هى التي ترى عليها نضرة النعيم، وبشاشة الرضوان، فترقرق على صفحتها وضاءة البشاشة، ويجرى فى أديمها رونق البهاء، والصفا..

الشرح والتحليل :

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ: نِعْمَ: كلمة مستوفية لجميع المدح، والنعمة: ما يحصل للإنسان به التنعم في العيش، وفيه عدة مسائل:

الأولى : أقوال السلف في بيان معنى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ . قال مقاتل في نعمة وكرامة [١] .

الثانية: أقوال المفسرين: قال الإمام القرطبي: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناعِمَةٌ﴾ أي ذات نعمة. وهي وجوه المؤمنين، نعمت بما عاينت من عاقبة أمرها وعملها الصالح [٢] .

قال الفخر الرازي : اعلم أنه سبحانه لما ذكر وعيد الكفار، أتبعه بشرح أحوال المؤمنين، فذكر وصف أهل الثواب أولاً، ثم وصف دار الثواب ثانياً، أما وصف أهل الثواب فبأمرين أحدهما: في ظاهرهم، وهو قوله : (ناعِمَةٌ) أي ذات بهجة وحسن، كقوله: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ [٣] أي متنعمة والثاني : في باطنهم وهو قوله تعالى : ﴿ لِسَعْيِها

(١) تفسير البغوي ٢٤٥/٥، الدر المنثور ٤٩٣/٨،
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣٢/٢٠
(٣) المطففين ٢٤

راضِيَةٌ ﴾ [١] وإلى هذا ذهب جمهور المفسرين [٢] .

الرابعة : وجه الفصل بين قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناعِمَةٌ﴾ وقوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ﴾ قال الطاهر ابن عاشور: يتبادر في بادئ الرأي أن حق هذه الجملة أن تعطف على جملة "وجوه يومئذ خاشعة"، بالواو لأنها مشاركة لها في حكم البيان لحديث الغاشية كما عطفت جملة: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ﴾ [٣] على جملة : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾ [٤] فِي سورة عبس، فيتجه أن يسأل عن وجه فصلها عن التي قبلها، ووجه الفصل التنبيه على أن المقصود من الاستفهام في "هل أتاك حديث الغاشية" الإعلام بحال المعرض بتهديدهم وهم أصحاب الوجوه الخاشعة فلما حصل ذلك الإعلام بجملة: "وجوه يومئذ خاشعة" إلى آخرها تم المقصود، فجاءت الجملة بعدها مفصولة لأنها جعلت استئنافاً بيانياً جواباً عن سؤال مقدر تثيره الجملة السابقة فيتساءل السامع: هل من حديث الغاشية ما هو مغاير لهذا الهول؟ أي ما هو أنس ونعيم لقوم آخرين، ولهذا النظم صارت هذه الجملة بمنزلة الاستطراد والتتميم، لإظهار الفرق بين حالي الفريقين ولتعقيب النذارة بالبشارة فموقع هذه الجملة المستأنفة موقع الاعتراض ولا تنافي بين الاستئناف والاعتراض وذلك موجب لفصلها عما قبلها. وفيه جري القرآن على سننه من تعقيب الترهيب والترغيب، فأما الجملتان اللتان في سورة عبس فلم يتقدمهما إبهام لأنهما متصلتان معا بالظرف وهو ﴿وَهُوَ فَإِذا جاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ [٥] ، وقد علم من سياق توجيه الخطاب إلى ﷺ الرسول أن الوجوه الأولى وجوه المكذبين

(١) تفسير الرازي ١٤١/٣١

(٢) أنوار التنزيل، البيضاوي ٣٠٧/٥، المحرر الوجيز ٤٧٣/٥، الكشاف ٧٤٣/٤

(٣) عبس ٤٠

(٤) عبس ٣٨

(٥) عبس ٣٣

بالرسول، والوجوه المذكورة بعدها وجوه المؤمنين المصدقين بما جاء به[١].

قلت : ولم تعطف هذه الوجوه على ما قبلها، مع أنها من حديث الغاشية، ليكون ذلك عزلاً لها عن تلك الوجوه المنكرة، العاملة، الناصبة، التي تصلى ناراً حامية فهذه وجوه، وتلك وجوه، ولا جامعة بينهما، إذ فريق في الجنة وفريق في السعير .

لِسَعْيِها راضِيَةٌ :

لِسَعْيِها : السعي : في الأصل، الإسراع في المشي، ويستعمل للجدّ في الأمر، خيراً كان أو شرّاً وهو دون العدو، ثم استعمل في غيره، وفيه عدة مسائل :

الأولى : أقوال السلف : عن سفيان قال: ﴿ لِسَعْيِها راضِيَةٌ ﴾ رضيت عملها [٢] .

الثانية : أقوال المفسرين: والرضى: ضد السخط، أي هي حامدة ما سعته في الدنيا من العمل الذي هو امتثال ما أمر الله به على لسان رسوله ﷺ

قال الإمام الطبري: يقول: لعملها الذي عملت في الدنيا من طاعة ربها راضية، وقيل: (لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ) والمعنى: لثواب سعيها في الآخرة راضية [٣].

قال الفخر الرازي: وفيه تأويلان أحدهما: أنهم حمدوا سعيهم واجتهادهم في العمل لله لما فازوا بسببه من العاقبة الحميدة؛ كالرجل يعمل العمل فيجزى عليه بالجميل، ويظهر له منه عاقبة محمودة فيقول: ما أحسن ما عملت، ولقد وفقت للصواب فيما صنعت فيثني على عمل

(١) التحرير والتنوير ٢٩٨/٣٠
(٢) الدر المنثور ٤٩٣/٨
(٣) جامع البيان ٣٨٥/٢٤

نفسه ويرضاه والثاني: المراد لثواب سعيها في الدنيا راضية إذا شاهدوا ذلك الثواب، وهذا أولى إذ المراد أن الذي يشاهدونه من الثواب العظيم يبلغ حد الرضا حتى لا يريدوا أكثر منه [1] وهذا مذهب جمهور المفسرين [2] .

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ : وفيه عدة مسائل

الأولى: الْجَنَّة وهي البستان الذي تشتبك فيه الشجر، حتى يستر من يدخله.

عَالِيَةٍ : العَلاَءُ: الرفعة. علا النهار: ارتفع، والعلِيّ: الرفيع القَدْرِ، وإذا وُصف تعالى به فمعناه أَنه يعلو أَن يحيط به وصف الواصفين بل علم العارفين والأَعلى: الأَشرف، والاستعلاءُ يكون لطلب العلوّ المذموم ويكون لطلب الرفعة العَلْيَاءُ، والعُلِّيَّة: تصغير عَالِيَةٍ فصار في التّعارف اسما للغرفة [3] .

الثانية : أقوال السلف في قوله ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أن الجنة أعلى من النار فسميت لذلك عالية، قاله الضحاك. الثاني: أعالي الجنة وغرفها، لأنها منازل العلو والارتفاع. فعلى هذا في ارتفاعهم فيها وجهان: أحدهما: ليلتذوا بالعلو والارتفاع. الثاني: ليشاهدوا ما أعد الله لهم فيها من نعيم [4] .

الثالثة: أقوال المفسرين: قال ابن عطية: ووصف الجنة بالعلو وذلك

(١) مفاتيح الغيب ١٤١/٣١

(٢) المحرر الوجيز ٤٧٣/٥، الكشاف ٤٧٣/٤، الجامع لأحكام القرآن ٣٢/٢٠، أنوار التنزيل، البيضاوي ٣٠٧/٥، اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٢٩٦/٢٠

(٣) بصائر ذوي التمييز ٩٦/٤، ماد: علو، الصحاح تاج اللغة ٢٤٣٧/٦، المفردات في غريب القرآن ٥٨٤/١، مادة: علا

(٤) النكت والعيون ٢٦٠/٦، جامع البيان ٣٨٦/٢٤، الدر المنثور ٤٩٣/٨

يصح من جهة المسافة والمكان ومن جهة المكانة والمنزلة أيضاً [١] وهذا مذهب جمهور المفسرين [٢] .

لا تَسْمَعُ فِيها لاغِيَةً وفيه عدة مسائل:

الأولى : "لسمع" في معاجم اللغة عدة معان: السماع: إِدْرَاك السّمع المسموعات، والسمع: الحاسة المدركة للأصوات، والسمع: بكسر السِين، الذّكر الجميل، ويعبّر تارة بالسّمع عن الأُذُن نحو: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ [٣] ، وتارة عن فعله كالسّماع نحو ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [٤] ، وتارة عن الفهم، وتارة عن الطَّاعة، تقول: اسمع ما أَقول لك. ولمْ تسمعْ ما قلتُ، أي لم تفهم وقوله ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [٥] ، أي فهِمنا ولم نأْتمر لك. وقوله ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [٦] أي فهمْنَا وارتسَمْنا.

الثانية: لاغِيَةً: اللغو: السقط، ومالا يعتد به من الكلام وغيره، وسمّى كلّ كلام قبيح لغواً، قال تعالى: ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا كِذَّاباً﴾ [٧] .

الثالثة: أقوال السلف: ورد عن السلف في الآية عدة أقوال: الأول: عن ابن عباس، قال: (لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً) يقول: لا تسمع أذًى ولا باطلاً، الثاني: عن مجاهد، قوله: (لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً) قال: شتمًا، الثالث: عن قتادة، قوله: (لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً): لا تسمع فيها باطلاً ولا شاتمًا، الرابع: الباطل، قاله يحيى بن سلام، الخامس: المعصية قاله

(١) المحرر الوجيز ٤٧٣/٥

(٢) تفسير ابن كثير ٣٧٧/٨، مفاتيح الغيب ١٤٢/٣١، الجامع لأحكام القرآن ٣٢/٢٠، أنوار التنزيل ٣٠٧/٥، البحر المحيط ٤٦٣/١٠

(٣) البقرة ٧

(٤) الشعراء ٢١٢

(٥) النساء ٤٦

(٦) البقرة ٢٨٥

(٧) النبأ ٣٥

الحسن. السادس: الحلف فلا تسمع في الجنة حالف يمين برة ولا فاجرة، قاله الكلبي [١] .

الرابعة : أقوال المفسرين: قال الفخر الرازي : وأما أهل التفسير فلهم وجوه أحدها: أن الجنة منزهة عن اللغو لأنها منزل جيران الله تعالى وإنما نالوها بالجد والحق لا باللغو والباطل، وهكذا كل مجلس في الدنيا شريف مكرم فإنه يكون مبرأ عن اللغو وكل ما كان أبلغ في هذا كان أكثر جلالة، هذا ما قرره القفال والثاني: قال الزجاج لا يتكلم أهل الجنة إلا بالحكمة والثناء على الله تعالى على ما رزقهم من النعيم الدائم [٢] والثالث : عن ابن عباس يريد لا تسمع فيها كذباً ولا بهتاناً ولا كفراً بالله ولا شتماً والرابع: قال مقاتل: لا يسمع بعضهم من بعض الحلف عند شراب كما يحلف أهل الدنيا إذا شربوا الخمر وأحسن الوجوه ما قرره القفال الخامس: قال القاضي: اللغو ما لا فائدة فيه، فالله تعالى نفى عنهم ذلك ويندرج فيه ما يؤذي سامعه على طريق الأولى [٣] وهذا مذهب جمهور المفسرين [٤].

قال الطاهر ابن عاشور: واللغو: الكلام الذي لا فائدة له، وهذا تنبيه على أن الجنة دار جد وحقيقة فلا كلام فيها إلا لفائدة لأن النفوس فيها تخلصت من النقائص كلها فلا يلذ لها إلا الحقائق والسمو العقلي والخلقي، ولا ينطقون إلا ما يزيد النفوس تزكية [٥] .

فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ وفيه عدة مسائل :

الأولى : المفهوم اللغوي لـ " جَارِيَةٌ " أي بماء مندفق، وأنواع

(١) جامع البيان ٣٨٧/٢٤، النكت والعيون ٢٦٠/٦، الدر المنثور ٤٩٣/٨، تفسير ابن كثير ٣٧٨/٨
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣١٨/٥
(٣) مفاتيح الغيب ٣١/ ١٤٢
(٤) محاسن التأويل ٤٦١/٩، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٥٨٣/٥، البحر المحيط ٤٦٣/١٠، لباب التأويل ٤٢١/٤، أنوار التنزيل ٣٠٧/٥، الجامع لأحكام القرآن ٣٣/٢٠
(٥) التحرير والتنوير ٣٠ /٣٠٠

الأشربة اللذيذة على وجه الأرض من غير أخدود، وحيث كان الماء كانت الحياة، وكان الخصب، والخير، وكانت البهجة والمسرة

الثانية : أقوال السلف: يقول: في الجنة العالية عين جارية في غير أخدود، قال الكلبي: لا أدري بماء أو بغيره [١] .

الثالثة : أقوال المفسرين: قال ابن كثير: فيها عين جارية أي سارحة وهذه نكرة في سياق الإثبات، وليس المراد بها عيناً واحدة وإنما هذا جنس يعني فيها عيون جاريات [٢] .

قال ابن عطية : "عَيْنٌ" في هذه الآية اسم جنس، ويحتمل أن تكون عينا مخصوصة ذكرت على جهة التشريف لها [٣] .

قال الطاهر ابن عاشور: فالمراد جنس العيون كقوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ [٤] ، أي علمت النفوس، وهذا وصف للجنة باستكمالها محاسن الجنات قال تعالى: ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً﴾ [٥] .

وإنما لم تعطف على الجملة التي قبلهما لاختلافهما بالفعلية في الأولى والاسمية في الثانية، وذلك الاختلاف من محسنات الفصل ولأن جملة: لا تسمع فيها لاغية مقصود منها التنزه عن النقائص وجملة: فيها عين جارية مقصود منها إثبات بعض محاسنها [٦] .

فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ : وفيه عدة مسائل

---

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد الواحدي، النيسابوري ٤/٤٧٥

(٢) تفسير ابن كثير ٨/٣٣٧، مفاتيح الغيب ٣١/١٤٢الجامع لأحكام القرآن ٢٠/٣٣، أنوار التنزيل ٥/٣٠٨، الكشاف ٤/٧٤٤

(٣) المحرر الوجيز ٥/٤٧٤

(٤) التكوير ١٤

(٥) الإسراء ٩١

(٦) التحرير والتنوير ٣٠/٣٠١

الأولى المعنى اللغوي لـ " سرر" السَّرِيرُ: الذي يجلس عليه من السّرور، إذ كان ذلك لأولي النّعمة ، وجمعه أَسِرَّةٌ ، وسُرُرٌ ، قال تعالى : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ ﴾ (١)،﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ﴾ (٢)، (٣).

الثانية : المعنى اللغوي لـ " مَرْفُوعَةٌ" : الرَّفْعُ يقال تارة في الأجسام الموضوعة إذا أعليتها عن مقرّها، نحو: ﴿وَرَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ (٤) ، وتارة في البناء إذا طوّلته، نحو قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ (٥)، وتارة في الذّكر إذا نوّهته نحو قوله ﴿وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (٦) وتارة في المنزلة إذا شرّفتها، نحو قوله: ﴿وَرَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ﴾ (٧) ورفعتُ الشيءَ : قَرَّبْتُه ، قال الله تعالى : ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ (٨) ، (٩) .

الثالثة : أقوال السلف: ورد عن السلف فيها عدة أقوال: الأول: عن ابن عباس: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ يعني: موضونة، كقوله: سُرر مصفوفة، بعضها فوق بعض، الثانى: عن ابن جريج ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ قال: مرتفعة، الثالث: قال ابن عباس: ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة ما لم يجيء أهلها، فإذا أراد أن يجلس عليها تواضعت له

(١) الطور ٢٠
(٢) الزخرف ٣٤
(٣) المفردات ٤٠٥/١، مادة: سرر، أساس البلاغة ٤٥٠/١، مادة: سرر، مجمل اللغة٤٩٥/١، باب السين والراء وما يثلثهما
(٤) البقرة ٩٣
(٥) البقرة ١٢٧
(٦) الشرح ٤
(٧) الزخرف ٣٢
(٨) الواقعة ٣٤
(٩) شمس العلوم ٢٥٨٢/٤، [رَفَعَ]، المفردات ٣٦٠/١، مادة: رفع، معالم التنزيل ٥/ ٢٤٥، زاد المسير ٤٣٥/٤

حتى يجلس عليها ثم ترتفع إلى مواضعها [١] .

الرابعة: أقوال المفسرين: قال الفخر الرازي: أي عالية في الهواء وذلك لأجل أن يرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ما أعطاه ربه في الجنة من النعيم والملك، وقال خارجة بن مصعب [٢] : بلغنا أنها بعضها فوق بعض فيرتفع ما شاء الله فإذا جاء ولي الله ليجلس عليها تطامنت له فإذا استوى عليها ارتفعت إلى حيث شاء الله، والأول أولى، وإن كان الثاني أيضاً غير ممتنع لأن ذلك بما كان أعظم في سرور المكلف [٣] .

قال أبو حيان : من رفعة المنزلة أو رفعة المكان ليرى ما خوله ربه من الملك والنعيم، أو مخبوءة من رفعت لك هذا، أي خبأته [٤] .

قال الماوردي: والسرر جمع سرير، وهو مشتق من السرور وفي وصفها بأنها مرفوعة ثلاثة أوجه: أحدها: لأن بعضها مرفوع فوق بعض، الثاني: مرفوعة في أنفسهم لجلالتها وحبهم لها، قاله الفراء، الثالث: أنها مرفوعة المكان لارتفاعها وعلوها، فعلى هذا في وصفها بالعلو والارتفاع وجهان: أحدهما: ليلتذ أهلها بارتفاعها، قاله ابن شجرة [٥] الثاني: ليشاهدوا بارتفاعهم ما أُعطوه من مُلك وأُوتوه من نعيم [٦] وهذا مذهب جمهور

(١) جامع البيان ٣٨٧/٢٤، الدر المنثور ٤٩٤/٨، الجواهر الحسان ٥٨٣/٥

(٢) الإمام، العالم، المحدث، شيخ خراسان خارجة بن مصعب بن خارجة الضبعي ، السرخسي. ارتحل، وأخذ عن: عمرو بن دينار توفي سنة ثمان وستين ومائة، وله ثمان وسبعون سنة، سير أعلام النبلاء ٣٢٦/٧

(٣) مفاتيح الغيب ٣١/ ١٣٤

(٤) البحر المحيط ٤٦٣/١٠

(٥) الشيخ، الإمام، العلامة، الحافظ، القاضي، أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة البغدادي، تلميذ محمد بن جرير الطبري . ولد: سنة ستين ومائتين، كان من العلماء بالأحكام، وعلوم القرآن والنحو والشعر والتواريخ توفي: سنة خمسين وثلاث مائة. وله تسعون سنة. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي ٥٤٥/١٥

(٦) النكت والعيون ٢٦١/٦

المفسرين [١] .

الخامسة : الحكمة من تكرار قوله " فيها " قال الطاهر ابن عاشور: وأعيد قوله: فيها دون أن يعطف "سرر" على "عين"، عطف المفردات لأن عطف السرر على عين يبدو نابياً عن الذوق لعدم الجامع بين عين الماء والسرر في الذهن لولا أن جمعها الكون في الجنة فلذلك كرر ظرف فيها تصريحاً بأن تلك الظرفية هي الجامع، ولأن بين ظرفية العين الجارية في الجنة وبين ظرفية السرر وما عطف عليه من متاع القصور والأثاث تفاوتاً ولذلك عطف وأكواب، ونمارق، وزرابي، لأنها متماثلة في أنها من متاع المساكن الفائقة، وهذا وصف لمحاسن الجنة بمحاسن أثاث قصورها فضمير فيها عائد للجنة باعتبار أن ما في قصورها هو مظروف فيها بواسطة [٢] .

قلت : ولعل السر في مجيء فيها مرتين للدلالة على تنوع نعيم الجنة، قسم فيه عيون ونزهة، وقسم فيه سرر وسكن

وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ : وفيه عدة مسائل

الأولى : المعنى اللغوى لـ " أكواب" الكوب، اسم جامد للكأس الذي لا عروة له [٣] .

قال الأخفش : الأكواب الأباريق التي لا خراطيم لها. وقال قطرب: هي الأباريق التي ليست لها عرى، قال الشاعر :

مُتَّكِئـــــاً تَصْـــــفِقُ أبوابُـــــه يَسْـــعَى عليـــه العَبْـــدُ بـــالكُوبِ [٤]

مَوْضُوعَةٌ: الوضع: إلقاء الشيء وتركه. والغالب فيه أن يكون إلقاؤه

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣٤/٢٠، المحرر الوجيز ٤٧٤/٥، الكشاف ٧٤٤/٤، أنوار التنزيل ٣٠٨/٥

(٢) التحرير والتنوير ٣٠٢/٣٠

(٣) جمهرة اللغة ٣٧٨/١، مادة: كوب، العين ٤١٧/٥، مادة: كوب، الصحاح ٢١٥/١، مادة: كوب، شمس العلوم ٥٩٢٤/٩

(٤) البيت لعدي بن زيد وهو في «مجاز القرآن» : ٢/ ٢٠٦،و الجامع لأحكام القرآن ١١٤/١٦

من العلو إلى السفل. والوضيع: الدني في حسبه ضعة وضعة. والدابة تضع في سيرها وضعاً وهو سير سهل سريع. وأوضعها راكبها الوضع أعم من الحط، وهو ضد الرفع

الثانية: أقوال السلف: قال قتادة: الكوب المدور القصير العنق القصير العروة، والإبريق المستطيل العنق الطويل العروة، وقال مجاهد: إنها الآنية المدورة الأفواه، وقال السدي: هي التي لا آذان لها [١] وهذا مذهب أهل اللغة.

الثالثة : أقوال المفسرين: قال أبوحيان: وأكواب موضوعة: أي بأشربتها معدة لا تحتاج إلى مالىء، أو موضوعة بين أيديهم، أو موضوعة على حافات العيون [٢] .

قال الفخر الرازي : وفي قوله: موضوعة وجوه :

أحدها : أنها معدة لأهلها كالرجل يلتمس من الرجل شيئا فيقول هو هاهنا موضوع بمعنى معد وثانيها: موضوعة على حافات العيون الجارية كلما أرادوا الشرب وجدوها مملوءة من الشرب وثالثها: موضوعة بين أيديهم لاستحسانهم إياها بسبب كونها من ذهب أو فضة أو من جوهر، وتلذذهم بالشراب منها ورابعها: أن يكون المراد موضوعة عن حد الكبر أي هي أوساط بين الصغر والكبر ، كقوله ﴿قَدَّرُوها تَقْدِيراً﴾ [٣] ، وبه قال الزمخشري [٤] وإليه ذهب جمهور المفسرين [٥] ويمكن أن تكون موضوعة : أي لا ترفع من بين أيديهم كما ترفع آنية الشراب في الدنيا إذا بلغ

(١) الجامع لأحكام القرآن ١١٤/١٦

(٢) البحر المحيط ٤٦٣/١٠

(٣) الإنسان ١٦

(٤) مفاتيح الغيب ٣١/ ١٤٣، الكشاف ٧٤٤/٤

(٥) معالم التنزيل ٢٤٥/٥، المحرر الوجيز ٤٧٤/٥، زاد المسير ٤٣٥/٤، الجامع لأحكام القرآن ٣٤/٢٠، أنوار التنزيل ٣٠٨/٥

الشاربون حد الاستطاعة من تناول الخمر

وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ : وفيه عدة مسائل:

الأولى : المعنى اللغوي لـ النمرقة : الوسادة قاله الفراء ، أو الصغيرة، أو هي الميثرة وهي: ما افترشت است الراكب على الرحل، كالمرفقة، غير أن مؤخرها أعظم من مقدمها، ولها أربعة سيور تشد بآخرة الرحل، قاله أبو عبيد. أو هي الطنفسة التي فوق نمرق الرحل

قال الشاعر:

تَضِجُّ مِنْ أَسْتاهِها النّمَارِقُ مَفَارِشُ الرِّحال والأَيانِقُ [1] ، [2]

الثانية: مَصْفُوفَةٌ: الصف: واحد الصفوف، والصَّفُّ: أن تجعل الشيء على خط مستو، كالناس والأشجار ونحو ذلك ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ [3] ، هي الملائكة المصطفون في السماء يسبحون، والصف: أن يبسط الطائر جناحيه، وقد صفت الطير في السماء تصف صفاً: بسطت أجنحتها ولم تحركها، قال تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ﴾ [4] أي: باسطات أجنحتها [5] .

الثالثة : أقوال السلف ، عن ابن عباس قال: "ونمارق" المرافق، وعنه أيضاً قال: "ونمارق" الوسائد، وهو قول عكرمة، وقتادة، والضحاك، والسدي، والثوري، وغيرهم، وعن أبى طلحة قال: "ونمارق" المرافق [6] .

الرابعة : أقوال المفسرين: أي ووسائد مصفوف بعضها إلى جوانب

---

(١) البيت في لسان العرب ٣٦١/١٠، مادة: نمرق

(٢) تاج العروس ٤٣٩/٢٦، مادة: نمرق، الصحاح ١٥٦١/٤، مادة: نمرق، تهذيب اللغة ٣١١/٩، باب: القاف، واللام، العين ٢٦٥/٥،

(٣) الصافات ١

(٤) النور ٤١

(٥) المفردات ٤٨٦/١، مادة: صفف، بصائر ذوي التمييز ٤١٨/٣، تاج العروس ٢٥/٢٤، مادة: صفف، شمس العلوم ٣٦٤١/٦، مادة: صفف

(٦) جامع البيان ٣٨٧/٢٤، الدر المنثور ٤٩٣/٨، النكت والعيون ٢٦١/٦، تفسير ابن كثير ٣٨٦/٨

بعض، فإن شاءوا جلسوا عليها، وإن أرادوا استندوا إليها، وإن أحبوا أن يجلسوا على بعضها ويستندوا إلى بعض فعلوا .

قال الفخر الرازي: النمارق هي الوسائد في قول الجميع واحدها نمرقة بضم النون، وزاد الفراء سماعاً عن العرب نمرقة بكسر النون، قال الكلبي: وسائد مصفوفة بعضها إلى جانب بعض أينما أراد أن يجلس جلس على واحدة واستند إلى أخرى. الصفة السابعة، وإلى هذا ذهب عامة المفسرين [١] .

وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ : وفيه عدة مسائل

الأولى : المعنى اللغوي لـ "الزرابي"، الزرابي: البسط؛ وقال الفراء: هي الطنافس ، لها خمل رقيق . وروي عن المؤرج [٢] أنه قال في قوله تعالى "وزرابي مبثوثة"؛ قال: زرابي النبت إذا اصفر واحمر وفيه خضرة، وقد ازرب، فلما رأوا الألوان في البسط والفرش شبهوها بزرابي النبت؛ وكذلك العبقري من الثياب والفرش [٣] .

مَبْثُوثَةٌ: بث الشيء والخبر فرقه، ونشره؛ وإذا بُسط المتاع بنواحي البيت والدار فهو مبثوث والبث: الحزن الذي تفضي به إلى صاحبك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [٤] ، وخلق الله الخلق، فبثهم في الأرض، قال تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُما رِجالًا كَثِيراً وَنِساءً﴾ [٥] أي: نَشَر

(١) مفاتيح الغيب ١٤٣/٣١، بحر العلوم، أبو الليث السمرقندى٥٧٥/٣، الكشف والبيان، الثعلبي ١٨٩/١٠، الهداية إلى بلوغ النهاية مكى بن طالب ٨٢٢٦/١٢، الكشاف ٧٤٤/٤، المحرر الوجيز٤٧٤/٥، الجامع لأحكام القرآن ٣٤/٢٠، التحرير والتنوير٣٠٢/٣٠

(٢) مؤرج بن عمرو بن الحارث أَبُو فيد السدوسي من أصحاب الخليل بن أَحْمَد، مات سنة أربع ومائتين، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان ٣٠٧/٥، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر –بيروت

(٣) لسان العرب ٤٤٧/١، مادة: زرب، أساس البلاغة ٤١٢/١، مادة: زرب، المفردات ٣٧٩/١، مادة: زرب، بصائر ذوي التمييز١٢٥/٣،

(٤) يوسف ٨٦

(٥) النساء ١

وكَثَّر [١] .

أقوال السلف: عن ابن عباس (وزرابي) قال: البسط، وعن الحسن (وزرابي) قال: البسط، وعن عكرمة (وزرابي مبثوثة) قال: بعضها على بعض، وقال الكلبي والفراء: المبثوثة: المبسوطة [٢] .

أقوال المفسرين:

قال الزمخشري: وَزَرابِيُّ وبسط عراض فاخرة. وقيل: هي الطنافس التي لها خمل رقيق. جمع زربية مَبْثُوثَةٌ مبسوطة أو مفرقة في المجالس [٣] وهذا مذهب عامة المفسرين [٤] .

قال الطاهر ابن عاشور : وهذا وعد للمؤمنين بأن لهم في الجنة ما يعرفون من النعيم في الدنيا وقد علموا أن ترف الجنة لا يبلغه الوصف بالكلام وجمع ذلك بوجه الإجمال في قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [٥] ، ولكن الأرواح ترتاح بمألوفاتها، فتعطاها فيكون نعيم أرواح الناس في كل عصر ومن كل مصر في الدرجة القصوى مما ألفوه ولا سيما ما هو مألوف لجميع أهل الحضارة والترف وكانوا يتمنونه في الدنيا ثم يزادون من النعيم (فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) [٦] ، [٧] .

---

(١) تهذيب اللغة ٥١/١٥، باب: الباء والثاء، مقاييس اللغة ١٧٢/١، مادة: بث، لسان العرب ١١٤/٢، مادة: بث، تاج العروس ١٦١/٥، مادة: بثث

(٢) جامع البيان ٣٨٨/٢٤، النكت والعيون ٢٦١/٦، الدر المنثور ٤٩٣/٨

(٣) الكشاف ٧٤٤/٤

(٤) الكشف والبيان، الثعلبي ١٨٩/١٠، الهداية إلى بلوغ النهاية مكى بن طالب ٨٢٢٦/١٢، الوسيط للواحدى ٤٧٥/٤، الجواهر الحسان ٥٨٣/٥، غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٤٨٩/٦، المحرر الوجيز ٤٧٤/٥، الجامع لأحكام القرآن ٣٤/٢٠

(٥) الزخرف ٧١

(٦) أخرجه مسلم، كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، (٢٨٢٥)، وأحمد في مسنده من حديث سهل بن سعد الساعدى،٤٨٣/٣٧

(٧) التحرير والتنوير ٣٠٣/٣٠

فاكتمل النعيم من كل جانب، حيث اشتمل ما تراه العين وما تسمعه الأذن، وما يتذوقون طعمه من شراب وغيره، فيكون بذلك قد غشيتهم النعمة، كما غشيت أولئك النقمة، وتكون الغاشية بمعنى الشاملة، وعلى عمومها للفريقين، وهي صالحة لغة وشرعاً للمعذبين بالعذاب، وللمنعمين بالنعيم. وبالله تعالى التوفيق .

ما يستفاد من الآيات :

١- وصف الله تعالى أهل السعادة والثواب ، ودار الثواب بأوصاف جميلة رائعة الجمال والمتعة ، لإغراء الناس بها وترغيبهم في الحصول عليها إذا عملوا عمل أصحابها المستحقين لها .

٢- أهل الثواب لهم صفتان : ظاهرية وباطنية، فوجوه المؤمنين ذات نعمة وبهجة ونضرة، ولعملها الذي عملته في الدنيا راضية في الآخرة، حيث أعطيت الجنة بعملها .

٣- أما دار الثواب فلها صفات سبع ، الأولى – في جنة عالية، أي مرتفعة، وعالية القدر ، الثانية – لا تسمع فيها كلاماً ساقطاً غير مرضي، الثالثة – فيها عين شراب جارية على وجه الأرض، من غير أخدود، الرابعة – فيها سرر عالية المكان، مرتفعة السماء، الخامسة – فيها أكواب ، أي كيزان لا عرى ، السادسة – فيها نمارق، أي وسائد مصفوفة واحدة إلى جنب الأخرى ، السابعة – فيها البسط المبسوطة ، الكثيرة المتفرقة في المجالس .

المبحث الثاني

الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى

وفيه مطلبين

المطلب الأول: إثبات قدرة الله تعالى على البعث وغيره .

المطلب الثاني : الداعي إلى الله تعالى مهمته الدعوة دون هداية القلوب فإنها إلى الله تعالى وحده .

المطلب الأول

إثبات قدرة الله تعالى على البعث وغيره

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ* وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾

مناسبة الآيات لما قبلها :

لما ذكر تعالى أمر القيامة وانقسام أهلها إلى أشقياء وسعداء، وعلم أنه لا سبيل إلى إثبات ذلك إلا بواسطة الصانع الحكيم، أتبع ذلك بذكره هذه الدلائل، وذكر ما العرب مشاهدوه وملابسوه دائماً [١] .

قال السمعاني [٢] : فإن قيل : كيف يليق هذا بالأول ؟ .

والجواب: أن النبي ﷺ لما ذكر لهم ما أوعده الله للكفار ووعده للمؤمنين استبعدوا ذلك غاية الاستبعاد، وقالوا: لا نفهم حياة بعد الموت، ولا ندري وعداً ولا وعيداً، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وذكر لهم من الدلائل ما هي مجرى أبصارهم، قال أبو سليمان الخطابي [٣] : ذكر الله تعالى هذه الأربع وهي الإبل، والسماء، والأرض، والجبال، وخصها بالذكر من بين سائر الأشياء؛ لأن الأعرابي إذا ركب بعيره، وخرج إلى البرية، فلا يرى إلا بعيره الذي هو راكبه، والسماء التي فوقه، والأرض التي تحته،

---

(١) البحر المحيط ٤٦٣/١٠، لباب التأويل ٤٢١/٤

(٢) السمعاني : الإمام العلامة، مفتي خراسان، شيخ الشافعية، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي، السمعاني، المروزي، الحنفي كان، ثم الشافعي، ولد سنة ست وعشرين وأربع مائة، وحيد عصره في وقته فضلا وطريقة، وزهدا وورعا، من بيت العلم والزهد، تفقه بأبيه، توفى سنة تسع وثمانين وأربع مائة، سير أعلام النبلاء ١٥٧/١٤،شمس الدين الذهبي، ط/ دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م

(٣) أبو سليمان الخطابي حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي؛ كان فقيهاً أديباً محدثاً له التصانيف البديعة منها " غريب الحديث " و " معالم السنن في شرح سنن أبي داود " توفى سنة ثمان وثمانين وثلاث مائة، وفيات الأعيان، ابن خلكان ٢١٥/٢

والجبال التي هي نصب عينه [١] .

معاني الكلمات :

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ : خلقها الله وسخرها لهم وذللها

وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ : كيف رفعها الله فوقهم بغير عمد لا خلل فيها ولا شقوق

وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ : نصبها الله على الأرض لئلا تميد بأهلها منتصبة لا تسقط على الأرض

وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ : أي بسطها فجعلها مستوية وطيئة ليتصرف عليها الخلق ولا يمتنعون من أسفارهم [٢] .

القراءات القرآنية وتوجيهها :

قرأ الجمهور: خُلِقَتْ : رُفِعَتْ ، نُصِبَتْ ، سُطِحَتْ ، بتاء التأنيث مبنيا للمفعول .

قرأ علي بن أبى طالب ﷺ ، وأبو حيوة ، وابن أبي عبلة : "إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ"، بفتح أوائل هذه الحروف كلها، وضم التاء.

قال أبو الفتح : المفعول هنا محذوف لدلالة المعنى عليه، أي: كيف خالقتها، ورفعتها، ونصبتها، وسطحتها؟ وتقدم القول على حسن حذف المفعول به، وأن ذلك أقوى دليل على قوة عربية الناطق به،

وقرأ الجمهور : "سُطِحَتْ" خفيفة الطاء .

---

(١) تفسير القرآن أبو المظفر السمعاني ٢١٥/٦، تحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية – الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية ٨٢٢٧/١٢، تفسير النسفي ٦٣٥/٣

وقرأ الحسن وهارون الرشيد: (سطّحت) بشد الطاء على المبالغة

قال أبو الفتح : إنما جاز هنا التضعيف للتكرير، من قبل أن الأرض بسيطة وفسيحة فالعمل فيها مكرر على قدر سمعتها، فهو كقولك: قطعت الشاة؛ لأنها أعضاء يخص كل عضو منها عمل

المعنى : أفلا ينظرون إلى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق، حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا إنذار الرسول ﷺ ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه [١] .

المعنى الإجمالي للآيات :

بعد أن ذكر سبحانه مجيء يوم القيامة، وبين أن الناس حينئذ صنفان أشقياء وسعداء وأن الأشقياء يكونون في غاية الذل والهوان، وأن السعداء يكونون يومئذ مستبشرين بادية على وجوههم نضرة النعيم، أمر الله تعالى عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته ووجوده وتوحيده، فيقول : كيف يصح للمشركين إنكار البعث والمعاد واستبعاد وقوع ذلك، وهم يشاهدون الإبل التي هي غالب مواشيهم وأكبر المخلوقات في بيئتهم، كيف خلقها الله على هذا النحو البديع، من عظم الجثة، ومزيد القوة، وبديع الأوصاف، فهي خلق عجيب، وتركيب غريب، وإلى السماء كيف رفعت فوق الأرض بلا عمد؟ وإلى الجبال منصوبة قائمة مرفوعة على الأرض، فإنها ثابتة راسية لئلا تميد الأرض بأهلها، وإلى الأرض كيف بسطت ومدّت ومهّدت، ليستقر عليها ساكنوها، وينتفعوا بما فيها من خيرات ومعادن دفينة، وما تخرجه من نباتات وزروع وأشجار متنوعة، بها قوام الحياة والمعيشة.

---

(١) البحر المحيط ٤٦٥/١٠، الكشاف ٧٤٥/٤، المحرر الوجيز ٤٧٥/٥، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، أبو الفتح عثمان بن جني ٣٥٦/٢ .

الشرح والتحليل :

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ : وفيه عدة مسائل

الأولى: المعنى اللغوي لـ "ينظرون" النظر أصله في العربية المقابلة، والنظر: تقليب البصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص، واستعمال النظر في البصر أكثر استعمالاً عند العامة، وفى البصيرة أكثر عند الخاصة، ويستعمل النظر أيضاً في التحير في الأمر نحو قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (١) ، (٢) .

الثانية : خُلِقَتْ: الخلق التقدير، وقيل : التقدير المستقيم ، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٣) أي : أبدعهما ، وليس الخلق بمعنى الإبداع إلا لله تعالى، ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء. قال تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (٤) والخلق لا يستعمل في كافّة النّاس إلا على وجهين: أحدهما في معنى التّقدير كقول الشاعر:

وَلَأَنْتَ تَفْرِي، مَا خَلَقْتَ، وَبَعْ ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي (٥)

والثاني : في الكذب نحو قوله : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً ﴾ (٦) وكلّ موضع استعمل الخلق في وصف الكلام فالمراد به الكذب والْخَلَاقُ : ما اكتسبه

---

(١) البقرة ٥٥

(٢) بصائر ذوي التمييز ٥ / ٨٣ ، مادة : نظر

(٣) البقرة ١٦٤

(٤) النساء ١

(٥) البيت لزهير من قصيدة مطلعها: لمن الديار بقنّة الحجر ... أقوين من حجج ومن شهر، وهو في ديوانه صـ ٢٩، وديوان الأدب ٢/ ١٢٣

(٦) العنكبوت ١٧

الإنسان من الفضيلة بخلقه ، قال تعالى : ﴿ ما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاق ﴾ (١) ، (٢) .

الثالثة : الإبل والعلم الحديث : أول ما يلفت الانتباه في الإبل البنية والشكل الخارجي الذى لا يخلو تكوينه من لطائف تأخذ بالألباب ، فالعينان محاطتان بطبقتين من الأهداب الطوال التي تقيه الرمال، وتتميز بقدرة على التكبير والتقريب، فهي تريه البعيد قريباً، والصغير كبيراً وهذ سر انقيادها للطفل الصغير، وشفتاه قاسيتان مطاطيتان تلتهمان الأشواك الحادة، والأذنان صغيرتان لهما القدرة على الانثناء والالتصاق بالرأس إذا هبت العواصف، المنخران على شكل شقين محاطين بالشعر مما يحميه من الرمال، قوائم الجمل طويلة لترفع جسمه؛ كما أنها تساعده على اتساع الخطو، طول عنق الجمل يساعده على تناول الأشجار المرتفعة، الجمل لا يتنفس من فمه ولا يلهث مهما اشتد الحر، جسم الجمل لا يفرز إلا مقداراً ضئيلاً من العرق مما يساعده على الاحتفاظ بالماء (٣) .

الرابعة: أقوال السلف: أخرج الطبري عن قتادة، قال: لما نعت الله ما في الجنة، عجب من ذلك أهل الضلالة، فأنزل الله: (أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) فكانت الإبل من عيش العرب ومن خوَلهم. وروى عن شريح قال: اخرجوا بنا ننظر إلى الإبل كيف خلقت (٤) .

الخامسة: أقوال المفسرين: قال الطاهر ابن عاشور: لما تقدم

(١) البقرة ١٠٢

(٢) بصائر ذوى التمييز ٥٦٦/٢، المفردات ٣٩٧/١، مقاييس اللغة ٢١٤/٢، مادة: خلق، مجما اللغة ٣٠٢/١، مادة: خلق

(٣) الإعجاز العلمي في القرآن صـ٤٧٩، يوسف الحاج أحمد، مكتبة ابن حجر، الثانية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م

(٤) جامع البيان ٣٨٨/٢٤، الهداية إلى بلوغ النهاية ٨٢٢٧/١٢، الدر المنثور٤٩٥/٨

التذكير بيوم القيامة ووصف حال أهل الشقاء بما وصفوا به، وكان قد تقرر فيما نزل من القرآن أن أهل الشقاء هم أهل الإشراك بالله، فرع على ذلك إنكار عليهم إعراضهم عن النظر في دلائل الوحدانية، فالفاء في قوله: "أفلا ينظرون" تفريع التعليل على المعلل لأن فظاعة ذلك الوعيد تجعل المقام مقام استدلال على أنهم محقوقون بوجوب النظر في دلائل الوحدانية التي هي أصل الاهتداء إلى تصديق ما أخبرهم به القرآن من البعث والجزاء، وإلى الاهتداء إلى أن منشئ النشأة الأولى عن عدم بما فيها من عظيم الموجودات كالجبال والسماء ، لا يستبعد في جانب قدرته إعادة إنشاء الإنسان بعد فنائه عن عدم، وهو دون تلك الموجودات العظيمة الأحجام، فكان إعراضهم عن النظر مجلبة لما يجشمهم من الشقاوة وما وقع بين هذا التفريع ، وبين المفرع عنه من جملة : (وجوه يومئذ ناعمة) كان في موقع الاعتراض كما علمت ، فضمير ينظرون عائد إلى معلوم من سياق الكلام. [1] .

السادسة: قال الماوردي : وفي (الإبل) ها هنا وجهان: أحدهما: وهو أظهرهما وأشهرهما: أنها الإبل من النَعَم. الثاني: أنها السحاب، فإن كان المراد بها السحاب فلما فيها من الآيات الدالة على قدرة الله والمنافع العامة لجميع خلقه، وإن كان المراد بها من النَعَم فإن الإبل أجمع للمنافع من سائر الحيوانات ، لأن ضروبه أربعة : حلوبة ، وركوبة ، وأكولة ، وحمولة ، والإبل تجمع هذه الخلال الأربع ، فكانت النعمة بها أعم ، وظهور القدرة فيها أتم [2]) .

السابعة : ذهب المبردً إلى أن الإبل هنا السحاب، لأن العرب قد

(١) التحرير والتنوير ٣٠٤/٣٠ ، الجامع لأحكام القرآن ٣٥/٢٠

(٢) النكت والعيون ٢٦٣/٦

تسميها بذلك، إذ تأتي أرسالاً كالإبل، وتزجى كما تزجى الإبل، وهي في هيئتها أحيانا تشبه الإبل والنعام، ومنه قوله :

كَـأَنَّ السَّـحَابَ ذَوَيْـنَ السـماء نَعَـامٌ تَعَلَّـقَ بِالْأَجَـلِ (١)

ورد الزمخشري هذا القول حيث قال: ولم يدع من زعم أن الإبل السحاب إلى قوله إلا طلب المناسبة، ولعله لم يرد أن الإبل من أسماء السحاب، كالغمام والمزن والرباب والغيم وغير ذلك، وإنما رأى السحاب مشبها بالإبل كثيراً في أشعارهم، فجوز أن يراد بها السحاب على طريقة التشبيه والمجاز (٢) . وإليه ذهب جمهور المفسرين (٣) .

وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ : وقد تدرج القرآن في دعوته إلى النظر – بعد الإشارة إلى الإبل المجاورة للمخاطبين – فارتقى بأنظارهم إلى السماء التي هي أعظم من الإبل .

وفيه عدة مسائل:

المسألة الأولى: المفهوم اللغوي للفظ السماء: السماء: اسم لكل ما علا وارتفع، وهو مأخوذ من السمو، والسماء أَعلى كلّ شيء، وكلُّ سماء بالإضافة إلى ما دونها فسماءٌ، وبالإضافة إلى ما فوقها فأَرض، إلا السماء العليا، فإنها سماء بلا أرض، والسماء المقابلة للأرض مؤنث، وقد يذكر، ويستعمل للواحد والجمع والسماء الذي هو المطر مذكر، ويجمع على أسمية وسمى .

قال الزجاج : والسماء التي تظل الأرض مؤنث عند العرب؛ لأنها

(١) البحر المحيط ٤٦٤/١٠

(٢) الكشاف ٧٤٥/٤

(٣) الجواهر الحسان ٥٨٣/٥، تفسير ابن كثير ٣٧٨/٨، أنوار التنزيل ٣٠٨/٥، تفسير البغوى ٢٤٦/٥، مفاتيح الغيب ١٤٣/٣١

جمع سماءة وسبق الجمع الوحدان فيها، والسماءة أصلها: سماوة وإذا ذكرت السماء عنوا به السقف ومنه قوله تعالى : ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ (١) ولم يقل منفطرة .

قال الجوهري: السماء تذكر وتؤنث، وأنشد ابن برى (٢) في التذكير :

ولــوْرفــعَ الســماءُ إليــهِ قومــاً علونــا في الســماءِ إلى الســحابِ (٣)

والجمع أسمية وسمى وسماوات وسماء، ومنه قول أمية بن أبى الصلت :

لــه مــا رأَتْ عَــيْنُ البَصِــير وفَوْقَــه سَــماءُ الإلَــهِ فَــوْقَ سَــبْعِ سَــمائِيا (٤)

قال الجوهري: جمعه على فعائل كما تجمع سحابة على سحائب ... وقال أبو إسحاق: لفظه لفظ الواحد ومعناه معنى الجمع قال والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٥) فيجب أن تكون السماء جمعاً كالسماوات كأن الواحد سماءة وسماوة وزعم الأخفش أن السماء جائز أن يكون واحداً كما تقول: كثر الدينار والدرهم بأيدي الناس والسماء والسحاب وأيضا المطر

(١) المزمل ١٨

(٢) أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش بري بن عبد الجبار بن بري المقدسي الأصل المصري الإمام المشهور في علم النحو واللغة والرواية والدراية؛ كان علاّمة عصره وحافظ وقته ونادرة دهره، توفى سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة، وفيات الأعيان٣ /١٠٩

(٣) البيت للفرزدق انظر ديوانه صـ٩١، ط/ دار الكتب العلمية.

(٤) شرح ديوان أمية بن أبى الصلت صـ٨٨، ط /دار مكتبة الحياة بيروت لبنان قدم له سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب

(٥) البقرة ٢٩

وقال معاوية بن مالك :

إذا سَقَط السماءُ بأَرضِ قَوْمٍ رعَيْناه وإن كانوا غِضابا (١)

وهذه الوجوه تتفق معاً في جهة العلو والفوقية، فالسماء المعروفة وسقف البيت وسقف الجنة والنار جهتها واحدة وهي العلو، والسحاب والمطر وأن كان مبدأ نشأتهما مياه الأرض عن طريق الأبخرة المتصاعدة إلا أنها تأتى من جهة العلو، والله أعلم.

المسألة الثانية : المفهوم العلمي للفظ السماء : يقول أد / حسن أبو العنين: السماء : هو الحيز أو الفضاء اللانهائي الذى يحيط بكوكب الأرض من جميع الجهات ، وتسبح جميع المجرات والسدم والكويكبات والنجوم والكواكب والأقمار في هذا الفضاء اللانهائي .. والسماء ليست كما يظن البعض فراغا خاويا أو حيزا هاديا ، بل هي بناء هندسي إلهى معجز مقدر تقديراً محكماً ، وتحيط السماء سطح كوكب الأرض من جميع الجهات، وكل ما يوجد على سطح الأرض ويتأثر بالجاذبية الأرضية ومثبت على سطحها تعلوه السماء وتسمو فوقه فالسماء للأرض كالسقف للبيت ومهما سما إليها بصر الإنسان أو نظر إليها عبر المناظير الفلكية المطورة فإن الإنسان يعجز تماماً عن تحديد حقيقة أبعادها، فلا منافاة بين المفهومين –اللغوي والعلمي– فمؤداهما واحد وهو : سماؤك كل ما علاك وأظلك (٢) والله أعلم .

المسألة الثالثة : رُفِعَتْ: الرفع: ضد الوضع كالترفيع والارتفاع والرفع يقال تارة في الأجسام الموضوعة إذا أعليتها عن مقرها ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ

(١) البيت في لسان العرب، انظر لسان العرب ٣٩٧/١٤بتصرف والمفردات مادة سما ص٢٤٣

(٢) من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم مع آيات الله في السماء أد / حسن أبو العنين أستاذ الجغرافيا الفلكية والطبيعية جامعة الإمارات المتحدة ص٦٣وما بعدها بتصرف. ط مكتبة العبيكان.

الطور﴾ [١] وتارة في البناء إذا طولته، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ القواعد مِنَ البيت﴾ [٢] وتارة في الذكر إذا نوهته ، ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [٣] وتارة في المنزلة إذا شرفتها ، ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [٤] وقوله: ﴿ وَإِلَى السمآء كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ إشارة إلى المعنيين: إلى اعتلاء مكانها، وإلى ما خص به من الفضيلة وشرف المنزلة [٥] .

أقوال المفسرين : قال الطاهر بن عاشور: ونقل بهم إلى التدبر في عظيم خلق السماء إذ هم ينظرونها نهارهم وليلهم في إقامتهم وظعنهم، يرقبون أنواء المطر ويشيمون لمع البروق، فقد عرف العرب بأنهم بنو ماء السماء ، قال زيادة الحارثي [٦] .

وَنَحْنُ بَنُو مَاءِ السَّمَاءِ فَلَا نَرَى لِأَنْفُسِنَا مِنْ دُونِ مَمْلَكَةٍ قَصْرُ [٧]

ويتعرفون من النجوم ومنازل الشمس أوقات الليل والنهار ووجهة السير [٨] وهذا مذهب عامة المفسرين [٩] .

وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ : وفيه عدة مسائل

الأولى: مناسبة الآيات لما قبلها: لما ذكر العالي من الحيوان الملابس للإنسان والعالي من الأكوان، أتبعه أعلى الأرض فقال تعالى:

---

(١) البقرة ٦٣

(٢) البقرة ١٢٧

(٣) الشرح ٤

(٤) الزخرف ٣٢

(٥) بصائر ذوي التمييز ٩٢/٣

(٦) زيادة بن سعد ، شاعر إسلامى، قتله هدبة بن الخشرم، هامش ديوان الحماسة، لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى،٤٤، دار الكتب العلمية

(٧) ديوان الحماسة، صـ٤٤

(٨) التحرير والتنوير ٣٠/ ٣٠٥

(٩) الجامع لأحكام القرآن ٣٦/٢٠، مفاتيح الغيب ١٤٥/٣١، زاد المسير ٤٣٦/٤، المحرر الوجيز ٤٧٥/٥، الكشاف ٧٤٥/٤، معالم التنزيل ٢٤٦/٥

(وَإِلَى الْجِبَالِ) أي الشامخة وهي أشد الأرض (كَيْفَ نُصِبَتْ) أي كان نصبها من ناصبها عالية جداً على بقية الأرض بلا موجب فيها لذلك من طبيعة ولا غيرها بل بفعل الفاعل المختار فهي راسخة لا تميل، فوضعها كذلك على ما فيها من المنافع من المياه الجارية والأشجار المختلفة أعجب من وضع الأكواب والنمارق المزينة، وبها مع ذلك ثبتت الأرض وحفظت من الميد، واعتدل أمر الكواكب في تقدير الليل والنهار باعتدال البلاد بالطلق بإعلاء بعضها قبل بعض حتى كانت المطالع والمغارب على ترتيب مطرد ونظام محكم غير منخرم تقدر به الأزمان والفصول والسنون والأيام والشهور، إلى غير ذلك من الأمور، ولا يكون ذلك لها إلا بقاهر قادر مختار لا شريك له [١] .

قلت : وأتبع ذكر السماء بذكر الجبال وكانت الجبال منازل لكثير منهم، ينزلون سفوحها ليكونوا أقرب إلى الاعتصام بها عند الخوف ويتخذون فيها مراقب للحراسة

الثانية : المعنى اللغوي والعلمي للجبال :

وردت كلمة الجبال في معاجم اللغة تحت مادة (جبل) والجَبَل جمعه: أَجْبَال وجِبَال، قال عزّ وجل: ﴿لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً وَالْجِبالَ أَوْتاداً﴾ [٢] واعتبر معانيه، فاستعير منه واشتق منه بحسبه، فقيل: فلان جبل لا يتزحزح تصوراً لمعنى الثبات فيه، وجَبَلَهُ الله على كذا، إشارة إلى ما رّكب فيه من الطبع الذي يأبى على الناقل نقله، وتصور منه معنى العظم، فقيل للجماعة العظيمة: جِبْلٌ. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي١٧/٢٢، دار الكتاب الإسلامي،
(٢) النبأ ٦-٧

جِبِلًّا كَثِيراً﴾ [١] أي : جماعة تشبيهاً بالجبل في العظم [٢] .

الثالثة : الإعجاز العلمي في خلق الجبال: الجبال كتلة من الأرض صماء صلدة صخرية ترتفع كثيراً عن مستوى البحر أو عما يجاورها . قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّآءً فُرَاتاً﴾ [٣] ويقول : ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإبل كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السمآء كَيْفَ رُفِعَتْ، وإلى الجبال كَيْفَ نُصِبَتْ﴾

ويقول : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ، وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ نحن مدعوون بنص الآيات الكريمة إلى النظر إلى الجبال كيف نصبت، فإن هذه الآيات في القرآن الكريم تتحدث عن الجبال، وذلك من خلال الآتي:

أولاً : الجبال أوتاداً : الجبل وتد، ثلثاه مغروس في الأرض عبر طبقاتها المتعددة، وفي أثناء الدوران لا تزاح الطبقات المتباينة بعضها عن بعض بسبب أن وتداً، وهو الجبل يربطها جميعاً.

معنى آخر: يشير الله سبحانه وتعالى في قوله : ﴿أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا، وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ إلى أن هذا الجبل الذي تراه عينك إنما ترى منه الثلث الظاهر، وله ثلثان تحت الأرض، فكل جبل ثلثه فوق الأرض، وثلثاه تحتها، فجبال همالايا التي فيها أعلى قمة، وهي قمة إيفرست ٨٨٨٠م، هذا هو الثلث الظاهر، ولكن ضعفي هذا الارتفاع مغروز تحت الأرض كالوتد، من هنا قال تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا، مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [٤] .

(١) يس ٦٢

(٢) المفردات ١/١٨٥، بصائر ذوي التمييز ٢/٣٦٥

(٣) المرسلات ٢٧

(٤) النازعات ٣٢-٣٣

ثانياً: الجبال أكناناً، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ (١) ، فالسلاسل الجبلية التي على السواحل تجعل المنطقة التي خلفها منطقة جافة، وليست رطبة، ومنطقة هادئة، وليست منطقة رياح عاتية فتبدل الطقس والمناخ متعلق بالجبال، وبفتحاتها، لأنها مصدات للرياح، تصدها، وتوقفها.

ثالثاً: الجبال مستودعات الأنهار: قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾ (٢) ، فالعلاقة بين الأنهار والجبال هي أن الجبال مستودعات للأنهار.

رابعاً : الجبال سبب استقرار الأرض: قال تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ (٣) هذه الكرة مع دورانها السريع لا بد أن تضطرب، أما إذا وزعت الجبال توزيعاً دقيقاً محكماً على سطحها فإن هذا التوزع سوف يؤدي إلى استقرارها مع دورانها، فهذا مما تعنيه هذه الآي

ومن ذلك أيضاً: قال تعالى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ (٤) ، من جعلها مستقرة، من جعلها ساكنة سكونا تاما، مع أنها متحركة؟ حيث تقطع الأرض في الثانية الواحدة ثلاثين كيلومتراً، تدور حول نفسها بسرعة ألف وستمئة كيلو متر في الساعة، ومع ذلك تبني البناء فلا يتشقق، ولو أنها اضطربت بميزان الزلازل بأقل وحدة لتهدمت الأبنية .

خامساً : الجبال تضاعف مساحة الأرض: الجبال تضاعف مساحة

(١) النحل ٨١
(٢) الرعد ٣
(٣) النحل ١٥
(٤) النمل ٦١

الأرض أربعة أضعاف، فلو أخذت المساحة التي يشغلها الجبل لكانت أقل من مجموع سطوحه بخمسة أجزاء، فهذه الجبال تضاعف المساحات، وتلطف الأجواء، ولها وظائف لا يعلمها إلا الله"، لذلك يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ (١) .

الرابعة: أقوال السلف: أخرج الطبري عن قتادة قال: (وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ) تصاعد إلى الجبل الصَّيخود عامة يومك، فإذا أفضيت إلى أعلاه، أفضيت إلى عيون متفجرة، وثمار متهدلة ثم لم تحرثه الأيدي ولم تعمله، نعمة من الله، وبُلغة الأجل (٢) .

الخامسة: أقوال المفسرين : قال القرطبي: (وَإِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ) أي كيف نصبت على الأرض، بحيث لا تزول، وذلك أن الأرض لما دحيت مادت، فأرساها بالجبال ، وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن كما قال : ﴿ وَجَعَلْنا فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ (٣) وهذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين (٤)

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي ٦٣/٢، دار المكتبي – سورية – دمشق – الحلبوني – جادة ابن سينا، الثانية ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م. من آيات الإعجاز العلمي د / زغلول النجار صـ٢٩٩، موسوعة الإعجاز العلمي د / سمير عبد الحليم صـ٤٤، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة أ /د عبد الله بن عبدالعزيز المصلح صـ١٩٣ ط/ دار أجياد للنشر والتوزيع الأولى ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨م

(٢) جامع البيان ٣٨٩/٢٤، الدر المنثور٨ /٤٩٤

(٣) الأنبياء ٣١

(٤) التحرير والتنوير ٣٠٦/٣٠، الكشف والبيان ١٩٠/١٠، الكشاف ٧٤٥/٤، المحرر الوجيز ٤٧٥/٥، مفاتيح الغيب ١٤٥/٣١، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣٠٨/٥، البحر المحيط ٤٦٦/١٠، تفسير ابن كثير ٣٧٨/٨، الجواهر الحسان ٥/ ٥٨٣

وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ :

مناسبة الآية لما قبلها: ثم نزل سبحانه بأنظار الخلق إلى الأرض وهي تحت أقدامهم وهي مرعاهم ومفترشهم، وقد سطحها الله، أي خلقها ممهدة للمشي والجلوس والاضطجاع، وليس للإنسان فضل سطحها، وبذكر سطح الأرض أصبحت الصورة غاية في البهاء؛ إبل عظيمة الخلق ترتقي برقبتها إلى عنان السماء المنصوبة المزدانة، وجبال تناطح بعظمتها عنان السماء، وأرض ميسرة للعيش ممهدة .

وفيه عدة مسائل :

المسألة الأولى : المعنى اللغوي للأرض : الأرض : اسم جنس للكوكب الذي نحيا عليه ، تمييزاً له عن بقية الكون ، الأرض مؤنثة ، والجمع أرضون بفتح الراء ، وكل ما سفل أرض [١] .

المسألة الثانية : (سُطِحَتْ) : السين والطاء والحاء أصل يدل على بسط الشيء ومده، من ذلك السطح معروف، وسطح كل شيء: أعلاه الممتد، ومعنى سطحت سويت يقال: سطح الشيء إذا سواه، ومنه سطح الدار، والمراد بالأرض أرض كل قوم لا مجموع الكرة الأرضية [٢] .

المسألة الثالثة : الإعجاز العلمي في بسط الأرض : جاء ذكر الأرض في أربعمائة وواحد وستين موضعاً من كتاب الله ، منها ما يشير إلي كوكب الأرض في مقابلة السماء أو السماوات، ومنها ما يشير الي اليابسة التي نحيا عليها أو إلي جزء منها، ومنها ما يشير الي التربة التي تغطي صخور اليابسة، وتفهم الدلالة من سياق الآية الكريمة

(١) بصائر ذوى التمييز ٥٣/٢، أساس البلاغة ١/ ٢٤ ، المفردات ٧٤/١، مقاييس اللغة ٨١/١

(٢) بصائر ذوى التمييز ٢١٩/٣، مجمل اللغة ٤٦٠/١، مقاييس اللغة ٧٢/٣، المفردات ٤٠٩/١، التحرير والتنوير ٣٠٦/٣٠

إن القرآن الكريم لا يقول أبداً بثبات الأرض أو بأنها مسطحة، بل قال تعالى : (وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) وكلمة (سُطِحَتْ) تعني مُهدت وبسطت أمام البشر، فأنت مهما سرت على الأرض تجدها مسطحة وممهدة أمامك، وهذا لا يتحقق إلا بالشكل الكروي، وجاء ذكر فرش الأرض، وبسطها، وتمهيدها، وتوطئتها، وتسويتها، وتذليلها في عدة آيات من القرآن الكريم .

من عجائب قدرة الله تعالى في خلق الأرض :

أ – جعل الله الأرض كفاتاً: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً، أَحْياءً وَأَمْواتاً﴾ [١] (كِفَاتاً) مأخوذةٌ من فِعْل كَفَتَ، وكفَتَ يكْفِتهُ كَفْتاً، وكفَّته: ضمَّه وقَبَضَه، فالأرضُ مِن صِفاتِها أنّها تكفِتُ، أي تجذِب، وتضمّ، وتقبضُ، وهذه الآيةُ فيها إشارةٌ واضحةٌ جليّةٌ إلى الجاذبيّةِ، فكلّ شيءٍ على سطحِ الأرضِ ينجذبُ إليها .

ب – استقرار الأرض قال تعالَى: ﴿أَمَّن جَعَلَ الأرض قَرَاراً﴾ [٢] مَن الذي جعلها مستقرةً؟ يستقرُّ عليها البناء ولا يتداعَى، من الذي جعلها مستقرَّة؟ مع أنّ الأرضَ تتحرَّك، وتسيرُ في الثانيةِ الواحدة ثلاثين كيلو متراً، ومع ذلك فهي مستقرة استقراراً مطلَقاً، فلو اهتزت لما بقي عليها بناء، ، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الجبال تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السحاب﴾ [٣] .

ت – جعل الله الأرض مهاداً: قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا

(١) المرسلات ٢٥-٢٦
(٢) النمل ٦١
(٣) النمل ٨٨

وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [١] إنّ اللهَ سبحانه وتعالى يوقِظُ أفكارَنا، وينبّه عقولَنا، ويَلْفِتُ أنظارَنا، {أَلَمْ نَجْعَلِ الأرض مهادا} [النبأ: ٦] ، فهذه الأرضُ جُهِّزَتْ لكم أيّها الناسُ، وهُيِّئَتْ لاسْتقبالِكم، فهل فكَّرْتم في ذلك؟ هل فكَّرتم في هذه الأرضِ التي جَعَلَها اللهُ مستقِرَّةً؟ في كلّ ثانيةٍ تقطع ثلاثين كيلو متراً، فهل تحرّك شيء؟ هل اهتز جدار؟ هل تشقّق سقفٌ؟ {أَلَمْ نَجْعَلِ الأرض مهادا} مَن جعلها ممهدة وهي متحركة؟ تبني البناء طوابق متعدّدةً، لو أنها اهتزّتْ قليلاً لانهار البناء، وتهدمت البيوت، وتقطَّعَت الجسور، ولَرُدِمَت التُّرَع، مَن جعلها مستقرّةً؟ ولكي لا تبقى في غفلةٍ أيُّها الإنسانُ، جعلَ الزلازلَ أنموذجاً، بعضها يجعل الأرض عاليَها سافلَها، في ثوان معدودة، فتصبح المدن تحت أطباق الثَّرى .

ث – سرعة الأرض: قولُه سبحانه : ﴿ أَمَّن جَعَلَ الأرض قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَآ أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ البحرين حَاجِزاً أإله مَّعَ الله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل : ٦١] ، والثانيةُ قولُه تعالى : ﴿ الله الذي جَعَلَ لَكُمُ الأرض قَرَاراً والسمآء بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطيبات ذَلِكُمُ الله رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ الله رَبُّ العالمين ﴾ [غافر: ٦٤] إنّ سرعةَ الأرضِ آيةٌ عظيمةٌ غَفَل عنها كثيرٌ منَ الناسِ، وأعرضوا عن التأمُّلِ فيها، فهذه الأرضُ تدورُ حولَ نفسِها بسرعةٍ تبلغُ في خطِّ الاستواءِ ١٦٠٠ كيلومتر في الساعةِ ، وهذه الأرضُ تدورُ حولَ الشمسِ بسرعةٍ قَدَّرها العلماءُ بثلاثينَ كيلومتراً في الثانيةِ يقولُ ربُّنا سبحانه وتعالى : ﴿ وَتَرَى الجبال تَحْسَبُهَا جَامِدَةً

(١) الزخرف ١٠

وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السحاب صُنْعَ الله الذي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل : ٨٨] .

ج – إذا كانت الجبالُ تمرُّ مرَّ السحابِ ، فإنّ الأرضَ تدورُ، وهذه إشارةٌ لطيفةٌ في كتابِ اللهِ عزَّ وجل إلى دورةِ الأرضِ حَوْلَ نفسِها [١] .

المسألة الرابعة: أقوال السلف: عن قتادة (وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) أي بُسطت، يقول: أليس الذي خلق هذا بقادر على أن يخلق ما أراد في الجنة [٢] .

المسألة الخامسة : أقوال المفسرين : ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ كيف بسطت ومدّت ومهّدت، ليستقر عليها ساكنوها، وينتفعوا بما فيها من خيرات ومعادن دفينة، وما تخرجه من نباتات وزروع وأشجار متنوعة، بها قوام الحياة والمعيشة آية ثابتة، وهذا مذهب عامة المفسرين [٣] .

المسألة السادسة : تسطيح الأرض لا ينافى كرويتها : قال العلامة السعدى: واعلم أن تسطيحها لا ينافي أنها كرة مستديرة، قد أحاطت الأفلاك فيها من جميع جوانبها، كما دل على ذلك النقل والعقل والحس والمشاهدة، كما هو مذكور معروف عند أكثر الناس، خصوصًا في هذه الأزمنة، التي وقف الناس على أكثر أرجائها بما أعطاهم الله من الأسباب المقربة للبعيد، فإن التسطيح إنما ينافي كروية الجسم الصغير جدًا، الذي لو سطح لم يبق له استدارة تذكر، وأما جسم الأرض الذي هو في غاية الكبر والسعة ، فيكون كرويًا مسطحًا، ولا يتنافى الأمران، كما يعرف ذلك

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي،٦٠/٢

(٢) جامع البيان ٣٨٩/٢٤

(٣) التحرير والتنوير ٣٠٦/٣٠، بحر العلوم ٥٧٥/٣، الكشاف ٧٤٥/٤، المحرر الوجيز ٤٧٥/٥، الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٣٦، أنوار التنزيل ٥/ ٣٠٨، البحر المحيط ١٠/ ٤٦٥

أرباب الخبرة [١] .

وقوله: (كيف سطحت) آية ثابتة؛ لأن جرمها مع إجماع المفسرين على تكويرها، فإنها ترى مسطحة، أي: من النقطة التي هي في امتداد البصر، وذلك يدل على سعتها وكبر حجمها؛ لأن الجرم المتكور إذا بلغ من الكبر والضخامة حداً بعيداً يكاد سطحه يرى مسطحاً من نقطة النظر إليه، وفي كل ذلك آيات متعددات للدلالة على قدرته تعالى على بعث الخلائق، وعلى إيقاع ما يغشاهم على مختلف أحوالهم [٢] .

المسألة السابعة: لماذا أمر الله سبحانه بالنظر إلى كيفية خلق هذه الأشياء مع أن الإنسان لا يصل بعقله إلى الكيفية ؟ :

يقول العلامة الشنقيطي: والتوجيه هنا بالنظر إلى الكيفية في خلق الإبل، ونصب الجبال، ورفع السماء، وتسطيح الأرض، مع أن الكيف للحالة، والله تعالى لم يشهد أحداً على شيء من ذلك كله : ﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ ﴾ [٣] فكيف يوجه السؤال إليهم للنظر إلى الكيفية وهي شيء لم يشهدوه ؟ .

والجواب – والله تعالى أعلم – : هو أنه بالتأمل في نتائج خلق الإبل، ونصب الجبال إلخ. وإن لم يعلموا الكيف، بل ويعجزون عن كنهه وتحقيقه، فهو أبلغ في إقامة الدليل عليهم، كمن يقف أمام صنعة بديعة يجهل سر صنعتها، فيتساءل كيف تم صنعها ؟ وقد وقع مثل ذلك: وهو الإحالة على الأثر بدلاً من كشف الكنه والكيف، وذلك في سؤال الخليل

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) صـ ٩٢٢،تحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي ٥١٨/٨، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت – لبنان ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ

(٣) غافر ٥١

عليه السلام ربه: أن يريه كيف يحيي الموتى، فكان الجواب : أن أراه الطيور تطير، بعد أن ذبحها بيده وقطعها، وجعل على كل جبل منها جزءاً، فلم يشاهد كيفية وكنه، وحقيقة الإحياء، وهو دبيب الروح فيها وعودة الحياة إليها؛ لأن ذلك ليس في استطاعته، ولكن شاهد الآثار المترتبة على ذلك، وهي تحركها وطيرانها، وعودتها إلى ما كانت عليه قبل ذبحها، مع أنه كان للعزير موقف مماثل وإن كان أوضح في البيان؛ حيث شاهد العظام وهو سبحانه ينشرها، ثم يكسوها لحماً. والله تعالى أعلم [1] .

ما يستفاد من الآيات: ذكّر الله تعالى الناس بصنعته وقدرته، وأنه قادر على كل شيء ، بعد أن ذكر أمر أهل الدارين، فتعجب الكفار من ذلك، فكذبوا وأنكروا، وقد ذكّرهم بخلق الإبل لأنها كثيرة في العرب ، وبخلق السماء ورفعها عن الأرض بلا عمد ، وبخلق الجبال الراسيات المنصوبة على الأرض، بحيث لا تزول ، وبخلق الأرض كيف بسطت ومدت ومهدت لأهلها كي يستطيعوا العيش عليها بقرار وأمان .

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي ٥١٨/٨

المطلب الثاني

الداعي إلى الله تعالى مهمته الدعوة دون هداية القلوب فإنها إلى الله تعالى وحده

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ * إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ * إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾

مناسبة الآيات لما قبلها :

بعد أن ذكر سبحانه دليل قدرته تعالى على بعث الأجساد ولفت أنظار الجاحدين إلى مظاهر قهره وغلبته لهذا العالم، ثم وبخهم على إنكارهم وتماديهم فى باطلهم، على وضوح الحجة وظهور البرهان، أردف ذلك أمره ﷺ أن يذكرهم بهذه الأدلة وأشباهها مما لا يبقى معه مجال للشك والتردد .

معاني المفردات :

فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ : فَذَكِّرْ : عبادي بآياتي فإن مهمتك التبليغ .

لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ : بمسلط ولا بجبار تجبرهم على الإيمان

إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ : إِلَّا من أعرض منهم، وكفر وجحد بما جئتهم به.

فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ : الذي لا عذاب فوقه

إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ : رجوعهم بالموت والبعث

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ : علينا وحدنا حسابهم وجزاءهم [١]

(١) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٣١٩/٥، الهداية إلى بلوغ النهاية ٨٢٢٩/١٢

الصور البلاغية :

الجناس : في قوله : فَذَكِّرْ مُذَكِّرٌ بينهما جناس الاشتقاق ، وكذا بين فَيُعَذِّبُهُ والْعَذابَ .

الطباق : في قوله: إِلَيْنا إِيابَهُمْ عَلَيْنا حِسابَهُمْ يوجد بينهما طباق في الحرف

تقديم الجار والمجرور : في قوله ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ والسر فيه التشديد بالوعيد وأن إيابهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام وأن حسابهم ليس إلا عليه

الالتفات : نقل الكلام من أسلوب الغيبة في قوله: (فيعذبه الله) إلى أسلوب التكلم بقوله: إلينا على طريقة الالتفات

التشبيه في قوله (إِلَيْنا إِيابَهُمْ) فشبهت إعادة خلقهم وإحضارهم لديه برجوع المسافر إلى مقره [١] .

القراءات القرآنية وتوجيهها :

لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ: قرأ الجمهور (بمصيطر) بالصاد وكسر الطاء، والأصل السين ، والصاد بدل منه ؛ فإنه من السطر بمعنى التسلط يقال: سطر عليه إذا تسلط ، وقرأ ابن عامر في رواية ، بالسين ، وقرأ حمزة في رواية بإشمام الصاد زاياً [٢] وهارون : بفتح الطاء، وهي لغة تميم[٣] وسيطر متعد عندهم ويدل عليه فعل المطاوعة وهو تسطر، وليس

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠٨/٣٠

(٢) المراد بالإشمام هنا: خلط صوت الصاد بصوت الزاي فيمتزجان، فيتولد منهما حرف ليس بصاد، ولا زاي، شرح ابن القاصح على الشاطبية: ٣٤

(٣) للقارئ بالسين أن يقول: هو أصل الكلمة، ولو لزم لغة من يجعلها صادا مع الطاء لم يعلم ما أصلها، ويقول من يقرأ بالصاد: إنها أخف على اللسان، لأن الصاد حرف مطبق كالطاء فتتقاربان، وتحسنان في السمع، والسين حرف مهموس، فهو أبعد من الطاء .

ويقول من قرأ بالزاي : أبدلت منها حرفاً مجهوراً حتى يشبه الطاء في الجهر، ورمت الخفة، ويحتج بقول العرب: صقر، وسقر، وزقر .

ويقول من قرأ بالمضارعة التي بين الزاي والصاد: رمت الخفة، ولم أجعلها زاء خالصة، ولا صادا خالصة فيلتبس بأحدهما، الحجة للقراء السبعة ٥٠/١

في الكلام على هذا الوزن إلا مسيطر ومهيمن ومبيطر ومبيقر وهي أسماء فاعلين من سيطر وهيمن وبيطر [١] .

إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ : قرأ ابن عباس، وزيد بن أسلم، وقتادة وزيد بن على (أَلَا مَنْ تَوَلَّى) بفتح الهمزة بالتخفيف على التنبيه، على معنى: استفتاح الكلام، ومَنْ على هذه القراءة شرطية وجوابه "فَيُعَذِّبُهُ اللَّه"، كقولك: من قام فيضربه زيد، أي: فهو يضربه زيد

فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ : قرأ ابن مسعود (إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فإنّه يعذّبه الله العذاب الأكبر) [٢] .

إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ : قرأ الجمهور: إيابهم بتخفيف الياء مصدر آب، يؤوب إياباً، رجع، كقام يقوم قياماً

وقرأ أبو جعفر، وشيبة : بشدها ، وهذه القراءة تحتمل تأويلين

أحدهما: أن يكون إيّاب بالتشديد فعالاً من أوب على زنة ككذب كذاباً وأصله أواب فلم يعتد بالواو الأولى حاجزاً لضعفها بالسكون فأبدل من الواو الثانية ياء لانكسار الهمزة فصار في التقدير أوياباً، ثم قبلت الأولى ياء أيضاً لاجتماع ياء، وواو وسكون إحداهما، ولأن الواو الأولى إذا لم تمنع من الانقلاب الثانية فهي أجدر بالانقلاب

الثاني: مصدراً لفعيل، من آب على وزن فيعال، أو مصدراً كفوعل كحوقل، على وزن فيعال أيضاً كحيقال، أو مصدر الفعول كجهور، على وزن فعوال كجهوار فأصله أوواب فقلبت الواو الأولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، واجتمع في هذا البناء والبناءين قبله واو وياء، وسبقت إحداهما

(١) البحر المحيط ٤٦٥/١٠، المحرر الوجيز ٤٧٥/٥، روح المعاني ٣٣٠/١٥، الحجة في القراءات السبع ٣٦٩/١

(٢) المحرر الوجيز ٤٧٥/٥، المحتسب ٣٥٧/٢، الكشف والبيان ١٩٠/١٠

بالسكون فقلبت الواو ياء، وأدغم ولم يمنع الإدغام من القلب لأن الواو والياء ليستا عينين من الفعل، بل الياء في فيعل والواو في فعول زائدتان[1] .

قال الألوسي: والوجه الأول أقيس لأنهم قالوا في مصدره التأويب والتفعيل مصدر فعل لا فيعل ومع ذلك فقد قالوا هو سريع الأوبة والأيبة فكأنهم آثروا الياء لخفتها [2] .

وأنكر الواحدي هذه القراءة حيث قال: أما إيابهم بتشديد الياء، فشاذ، لم يجزه أحد غير الزجاج، فإنه قال: يقال: أيب إيابًا على فيعل فيعالًا [3]

المعنى الإجمالي للآيات:

بعد أن أمر الله نبيه أن يعرض هذه الآيات التي تحدثت عن قدرة الله سبحانه، وعن حكمته، ليكون فيها تذكرة لمن يتذكر، وعبرة لمن يعتبر، نبّه على أن وظيفة النبي ﷺ، هي التذكير بالله، وإلفات العقول والقلوب إلى قدرته، وعلمه، وحكمته، وإلى ماله سبحانه من نعم سابغة على عباده، فالنبي ليس بمتسلط على الناس، يقهرهم على أن يؤمنوا بالله، ويستجيبوا لما تدعوهم إليه، وفى هذا إطلاق للإنسان، وتحرير لذاته وشخصيته من أي سلطان، إلا سلطان عقله وضميره، وفى هذا تكريم للإنسان، واعتراف بمكانه في الوجود، وأنه لا وصاية عليه من أحد حتى الأنبياء والرسل، فهم ليسوا أوصياء عليه، وإنما هم هداة يرفعون لعينيه مشاعل الهدى في طريق حياته، وليس الرسول إلا منذراً ومحذراً من عذاب يوم القيامة،

(١) البحر المحيط ٤٦٥/١٠، الكشاف ٧٤٥/٤، المحتسب ٢/ ٣٥٨، الكامل في القراءات ٦٦٠/١، النشر في القراءات العشر ٤٠٠/٢، إتحاف فضلاء البشر ٥٨٣/١

(٢) روح المعاني ٣٣١/١٥

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٤٧٧/٤

فهؤلاء الذين تولوا وكفروا، سيعودون إلى الله، وسيحاسبون على ما اجترحوا من آثام، وليس وراء هذا الحساب إلا العذاب الأليم .

الشرح والتحليل:

فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ : فَذَكِّرْ : وفيه عدة مسائل :

المسألة الأولى : المفهوم اللغوي لقوله (فذكر) أصل الذكر القوة ومنه تسمية الذكر خلاف الأنثى؛ لأنه أقوى من الأنثى، والذكر: تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه، والذكر يقال اعتباراً باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول، والذكر ذكران: ذكر بالقلب، وذكر باللسان، وهو في الموضعين حقيقي ويستعار في مواضع تدل عليها القرينة، وكل واحد منهما ضربان: ذكر عن نسيان، وذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ. وكل قول يقال له ذكر، فمن الذكر باللسان قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ كِتاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ (١) ومن الذّكر عن النسيان قوله: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَما أَنْسانِيهُ إِلَّا الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ (٢) ومن الذكر بالقلب واللسان معاً قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً﴾ (٣) والتَّذْكِرَةُ: ما يتذكر به الشيء، وهو أعم من الدلالة والأمارة ، قال تعالى : ﴿فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ (٤) أي القرآن (٥) .

(١) الأنبياء ١٠

(٢) الكهف ٦٣

(٣) البقرة ٢٠٠

(٤) المدثر ٤٩

(٥) المفردات في غريب القرآن ٣٢٩/١، بصائر ذوى التمييز ١٥/٣

المسألة الثانية : أقوال المفسرين

قال الإمام الطبري: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: (فَذَكِّرْ) يا محمد عبادي بآياتي، وعظهم بحججي وبلِّغهم رسالتي (إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ) يقول: إنما أرسلتك إليهم مذكرا لتذكرهم نعمتي عندهم، وتعرّفهم اللازم لهم، وتعظهم [١] .

قال الطاهر بن عاشور: الفاء فصيحة تفريع على محصل ما سبق من أول السورة الذي هو التذكير بالغاشية وما اتصل به من ذكر إعراضهم وإنذارهم، رتب على ذلك أمر الله رسوله ﷺ بالدوام على تذكيرهم وأنه لا يؤيسه إصرارهم على الإعراض وعدم ادكارهم بما ألقى إليهم من المواعظ، وتثبيته بأنه لا تبعة عليه من عدم إصغائهم إذ لم يبعث ملجئاً لهم على الإيمان، فالأمر مستعمل في طلب الاستمرار والدوام [٢] وبمثل هذا قال عامة المفسرين [٣] .

المسألة الثالثة : مجيء هذا الأمر بالفاء في هذا الموطن، فإنه يشعر بأن النظر الدقيق والفكر الدارس، مما قد يؤدي بصاحبه إلى الاستدلال على وجود الله وعلى قدرته، كما نطق مؤمن الجاهلية: قس بن ساعدة [٤] في خطبته المشهورة : ليل داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات

---

(١) جامع البيان ٣٨٩/٢٤

(٢) التحرير والتنوير ٣٠٦/٣٠

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية ٨٢٢٨/١٢، النكت والعيون ٢٦٣/٦، الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٤٧٧/٤، الكشاف ٧٤٥/٤، المحرر الوجيز ٤٧٥/٥، مفاتيح الغيب ١٤٦/٣١، الجامع لأحكام القرآن ٣٧/٢٠

(٤) قس بن ساعدة الايادي أحد حكام العرب في الجاهلية وزعم كثير من العلماء أنه عمر ستمائة سنة وقد رآه رسول الله ﷺ بعكاظ كان حكيماً خطيباً عاقلاً حليماً له نباهة وفضل. معجم الشعراء صـ٣٣٩، للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني ، تعليق : الأستاذ الدكتور ف، كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الثانية، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م

أبراج ، ونجوم تزهر، وبحار تزخر، وجبال مرساة، وأرض مدحاة، وأنهار مجراة. فقد ذكر السماء، والجبال، والأرض، وكقول زيد بن عمرو ابن نفيل [١] ، مؤمن الجاهلية المعروف :

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثِقَالاً

لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ : وفيه عدة مسائل

المسألة الأولى : المفهوم اللغوي لقوله (بِمُصَيْطِر) تسيطر فلان على كذا، وسَيْطَرَ عليه: إذا أقام عليه قيام سطر، يقول: لست عليهم بقائم، واستعمال (الْمُسَيْطِر) هاهنا كاستعمال (القائم) في قوله:﴿أَفَمَنْ هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ﴾ [٣]، و(حفيظ) في قوله: ﴿وَما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [٤] ، وقيل: معناه لست عليهم بحفيظ، فيكون المسيطر (كالكاتب) في قوله : ﴿ وَرُسُلُنا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [٥] ، وهذه الكتابة هي المذكورة في قوله:﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذلِكَ فِي كِتابٍ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [٦] ، [٧] .

المسألة الثانية: أقوال السلف: عن ابن عباس، قوله: (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ) يقول: لست عليهم بجبار فَاعْفُ عنهم وأصفح، عن قتادة (لَسْتَ

(١) زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى، القرشي العدوي: نصير المرأة في الجاهلية، وأحد الحكماء. وهو ابن عم عمر بن الخطاب. لم يدرك الإسلام، وكان يكره عبادة الأوثان ولا يأكل مما ذبح عليها. ورحل إلى الشام باحثا عن عبادات أهلها، فلم تستمله اليهودية ولا النصرانية، فعاد رآه النبيﷺ قبل النبوة، وسئل عنه بعدها فقال: يُبعث يوم القيامة أمة وحده. توفي قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنين. وله شعر قليل، الأعلام للزركلى ٣/٦٠ إلى مكة يعبد الله على دين إبراهيم.

(٢) أضواء البيان ٨/٥١٨

(٣) الرعد ٣٣

(٤) الأنعام ١٠٤

(٥) الزخرف ٨٠

(٦) الحج ٧٠

(٧) المفردات ١/٤١٠، مادة: سطر، بصائر ذوى التمييز ٣/٢٢٠

عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ) : أي كِلْ إليّ عبادي، وعن مجاهد، قوله: (بِمُسَيْطِرٍ) قال: جبار، وقال ابن زيد: لست بالذي تكرههم على الإيمان [١] .

المسألة الثالثة : القول في نسخ الآية :

ذهب ابن عباس إلى القول بأن الآية منسوخة بآية السيف ، فعن ابن عباس في قولهِ : ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ وقوله : ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ [٢] وقوله : ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ [٣] وقوله : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [٤] ، قال : نسخ هذا كله قوله : ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [٥] ، وقوله عز وجل : ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إلى قوله : ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [٦] ، [٧] .

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ : " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ [٨] .

وأخرج الطبري عن ابن زيد، في قوله : (إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ) قال: لست عليهم بمسلط أن تكرههم على الإيمان، قال: ثم جاء

---

(١) جامع البيان ٣٩٠/٢٤، النكت والعيون ٢٦٣/٦، الدر المنثور ٤٩٥/٨، تفسير ابن كثير ٣٨٨/٨

(٢) ق ٤٥

(٣) آل عمران ١٥٩

(٤) الجاثية ١٤

(٥) التوبة ٥

(٦) التوبة ٢٩

(٧) الناسخ والمنسوخ، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم صـ٤٠٧، تحقيق: محمد بن صالح المديفر، مكتبه الرشد، الرياض، الثانية، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م

(٨) صحيح البخاري ، باب وجوب الزكاة (١٣٩٩)، ومسلم، بَابُ الْأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ (٣٢)، مصنف ابن أبى شيبة ، باب: فِيمَا يُحْقَنُ بِهِ الدَّمُ وَيُرْفَعُ بِهِ عَنِ الرَّجُلِ الْقَتْلُ (٢٨٩٣٦) واللفظ له، ٥٥٦/٥، سنن الترمذى ، باب ومن سورة الغاشية (٣٣٤١)

بعد هذا : ﴿ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [١] وقال ﴿اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ [٢] وارصدوهم لا يخْرُجُوا فِي البِلاد ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قال: فنسخت (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ) قال: جاء اقتله أو يُسْلِم؛ قال: والتذكرة كما هي لم تنسخ وقرأ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٣] ، [٤] .

قال هبة الله بن سلامة [٥] : سورة الغاشية: نزلت بمكة وجميعها محكم إلا آية واحدة فإنها منسوخة وهي قوله تعالى ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ نسختها آية السيف [٦] .

ورجح ابن عطية القول بنسخ الآية فقال : قال بعض المتأولين الاستثناء متصل والمعنى (إِلَّا مَنْ تَوَلَّى) فإنك مصيطر عليه فالآية على هذا لا نسخ فيها وقال آخرون منهم : الاستثناء منفصل ، والمعنى (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ) وتم الكلام، وهي آية موادعة منسوخة بالسيف ثم قال : (إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ)، وهذا هو القول الصحيح لأن السورة مكية، والقتال إنما نزل بالمدينة [٧] وهذا ما رجحه ابن جزى الكلبى عند تفسير للسورة الكريمة ، وفى مقدمة تفسيره [٨] ، وأبو الفرج الجوزي [٩] ،

(١) التوبة ٧٣
(٢) التوبة ٥
(٣) الذاريات ٥٧
(٤) جامع البيان ٢٤/٣٩٠
(٥) هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي، مفسر، ضرير، من أهل بغداد. وبها وفاته، الأعلام للزركلى ٨/٧٢
(٦) الناسخ والمنسوخ، أبو القاسم هبة الله بن سلامة ١/١٩٧
(٧) المحرر الوجيز ٥/٤٧٥
(٨) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي ٢/٤٧٧
(٩) زاد المسير ٤/٤٣٦

وأبو حيان [١] ، والثعالبي [٢] ، والخازن [٣] ، والشوكاني [٤] وغيرهم كثير .

وذهب فريق آخر إلى أن الآية محكمة غير منسوخة .

قال الطاهر ابن عاشور: ونفي كونه مصيطراً عليهم خبر مستعمل في غير الإخبار لأن النبيء ﷺ يعلم أنه لم يكلف بإكراههم على الإيمان، فالخبر بهذا النفي مستعمل كناية عن التطمين برفع التبعة عنه من جراء استمرار أكثرهم على الكفر، فلا نسخ لحكم هذه الآية بآيات الأمر بقتالهم، ثم جاء وجوب القتال بتسلسل حوادث كان المشركون هم البادئين فيها بالعدوان على المسلمين إذ أخرجوهم من ديارهم، فشرع قتال المشركين لخضد شوكتهم وتأمين المسلمين من طغيانهم [٥] .

قال الإمام السيوطي: ما أمر به لسبب ثم يزول السبب كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر والصفح ثم نسخ بإيجاب القتال وهذا في الحقيقة ليس نسخاً بل هو من قسم المنسإ كما قال تعالى: (أَوْ نُنْسِهَا) [٦] فالمنسأ هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى وبهذا يضعف ما لهج به كثيرون من أن الآية في ذلك منسوخة بآية السيف وليس كذلك بل هي من المنسإ بمعنى أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما لعلة يقتضي ذلك الحكم ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر وليس بنسخ إنما النسخ الإزالة للحكم حتى لا يجوز امتثاله .

---

(١) البحر المحيط ٤٦٦/١٠

(٢) الجواهر الحسان ٥٨٤/٥

(٣) لباب التأويل ٤٢٢/٤

(٤) فتح القدير ٥٢٤/٥

(٥) التحرير والتنوير ٣٠/ ٣٠٧

(٦) البقرة ١٠٦

وقال مكي: ذكر جماعة أن ما ورد في الخطاب مشعر بالتوقيت والغاية مثل قوله في البقرة: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ (١) محكم غير منسوخ لأنه مؤجل بأجل والمؤجل بأجل لا نسخ فيه (٢) .

وسبقه إلى هذا القول الزركشي (٣) وبه قال الزرقاني (٤) ، والشيخ مناع القطان (٥) .

وذهب فريق آخر إلى التوقف فلم يرجح أحد القولين على الأخر (٦)

قلت : والذى أميل إليه أن الآية محكمة ليست منسوخة بل هي من الآيات التي دارت أحكامها على أسباب، فالإسلام أمر المسلمين في بدء الدعوة – رأفة بهم ورحمة – بمثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ (٧) ، ثم كتب عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمقاتلة عليه لما قويت الدعوة الإسلامية، فأنزل الله على نبيه في كل حال ما يناسب الظروف التي تحيط به وبالمؤمنين

المسألة الرابعة : أقوال المفسرين: في قوله ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِمْ

---

(١) البقرة ١٠٩

(٢) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي ٦٩/٣، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م .

(٣) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي ٤٢/٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني ٢٥٤/٢، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الثالثة

(٥) مباحث في علوم القرآن مناع بن خليل القطان ٢٤٩/١،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٣٧/٢٠، اللباب في علوم الكتاب، بن عادل الحنبلي ٣٠٣/٢٠، الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، مكى بن أبى طالب ٤٤٥،تحقيق:د/ أحمد حسن فرحات/ط/دار المنارة، جدة، الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م

(٧) المائدة ١٠٥

بِمُسَيْطِرٍ﴾ أي لست عليهم بمسلط تجبرهم على ما تريد، وتتعهد أحوالهم، وتكتب أعمالهم، فلم نؤت قوة الإكراه على الإيمان، والإلجاء إلى ما تدعوهم إلى وهذا مذهب عامة المفسرين [1] .

إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ : وفيه عدة مسائل

المسألة الأولى : المفهوم اللغوي لقوله (تَوَلَّى) الوَلَاءُ والتَّوَالِي: أن يَحْصُلَ شيئان فصاعداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان، ومن حيث النّسبة، ومن حيث الدّين، ومن حيث الصّداقة والنّصرة والاعتقاد، والوِلَايَةُ: النُّصْرةُ والوَلَايَةُ: تَوَلِّي الأمرِ، وتولى إذا عدى بنفسه اقتضى معنى الولاية وحصوله في أقرب المواضع، يقال: وليت سمعي كذا، ووليت عيني كذا، أي أقبلت به عليه، وإذا عدى بعن لفظاً أو تقديراً اقتضى معنى الإعراض وترك قربه، فمن الأول قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [2] ومن الثاني: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [3] ويقال : وَلِيَ الشيءُ الشيءَ، وأَوْلَيْتُ الشيءَ شيئاً آخرَ أي: جعلته يَلِيهِ والمُوَالاةُ بين الشيئين: المتابعة، والتولي قد يكون بالجسم، وقد يكون بترك الإصغاء والائتمار [4] .

المسألة الثانية: وَكَفَرَ: الكُفْرُ في اللّغة: ستر الشيء، وكُفْرُ النّعمة وكُفْرَانُهَا: سترها بترك أداء شكرها، وأعظم الكُفْرِ: جحود الوحدانيّة أو الشريعة أو النّبوّة، والكُفْرَانُ في جحود النّعمة أكثر استعمالا، والكُفْرُ في

(١) الجواهر الحسان ٥٨٤/٥، تفسير ابن كثير ٣٨٠/٨، البحر المحيط ٤٦٥/١٠، لباب التأويل ٤٢٢/٤، الجامع لأحكام القرآن ٣٧/٢٠، التحرير والتنوير ٣٠/ ٣٠٧

(٢) المائدة ٥١

(٣) آل عمران ٦٣

(٤) المفردات ٨٨٧/١، مادة: ولى، بصائر ذوى التمييز ٣٨٣/٥، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٧٢٥٩/١١

الدّين أكثر، والكُفُورُ فيهما جميعا قال: ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُوراً﴾ (١) ولمّا كان الكفران يقتضي جحود النّعمة صار يستعمل في الجحود، قال: ﴿وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كافِرٍ بِهِ﴾ (٢) أي : جاحد له وساتر، والكَافِرُ على الإطلاق متعارف فيمن يجحد الوحدانيّة، أو النّبوّة، أو الشريعة، أو ثلاثتها، وقد يقال: كَفَرَ لمن أخلّ بالشّريعة، وترك ما لزمه من شكر الله عليه (٣)

المسألة الثالثة: أقوال السلف: قال السّدى: فلست له بمذكر، لأنه لا يقبل تذكيرك، وقال الحسن: إلا من تولى وكفر فكِلْه على الله تعالى، وهذا قبل القتال، ثم أمر بقتالهم (٤) .

المسألة الرابعة: أقوال المفسرين: قال الطبرى: (إِلا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ) يتوجَّه لوجهين: أحدهما: فذكر قومك يا محمد، إلا من تولى منهم عنك، وأعرض عن آيات الله فكفر، فيكون قوله "إلا" استثناء من الذين كان التذكير عليهم، وإن لم يذكروا، كما يقال: مضى فلان، فدعا إلا من لا تُرْجَى إجابته، بمعنى: فدعا الناس إلا من لا ترجى إجابته. والوجه الثاني: أن يجعل قوله: (إِلا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ) منقطعاً عما قبله، فيكون معنى الكلام حينئذ لست عليهم بمسيطر، إلا من تولى وكفر، يعذّبه الله، وكذلك الاستثناء المنقطع يمتحن بأن يحسن معه إنّ، فإذا حسنت معه كان منقطعاً، وإذا لم تحسن كان استثناء متصلاً صحيحاً، كقول القائل: سار القوم إلا زيداً، ولا يصلح دخول إن هاهنا لأنه استثناء صحيح (٥)

(١) الإسراء ٩٩
(٢) البقرة ٤١
(٣) المفردات ٧١٥/١، بصائر ذوى التمييز ٣٦٢/٤، شمس العلوم ٥٨٦٥/٩
(٤) النكت والعيون ٢٦٣/٦
(٥) جامع البيان ٣٩١/٢٣،

وهذا مذهب جمهور المفسرين [١] .

فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ : وفه عدة مسائل

الأولى: المفهوم اللغوي للآية: العَذَابُ: هو الإيجاع الشّديد، وقد عَذَّبَهُ تَعْذِيباً: أكثر حبسه في العذاب ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً﴾ [٢] واختلف في أصله، فقال بعضهم: هو من قولهم: عذب الرجل: إذا ترك المأكل والنوم، فهو عاذب وعذوب، فالتعذيب في الأصل هو حمل الإنسان أن يعذب، أي: يجوع ويسهر وقيل: أصل التعذيب إكثار الضرب بعذبة السوط، أي: طرفها، وقد قال بعض أهل اللغة: التعذيب هو الضرب .

والْعَذَاب : اسْم لما اسْتمرّ ألمه ، وَيُقَال : مَاء عذب : إِذا اسْتمرّ سائغاً، والعَذْب: الماء الطيّب. والجمع عِذَابٌ [٣] .

الثانية: السر في تسمية العذاب بالأكبر:

قال الفخر الرازي: إنما سماه العذاب الأكبر لوجوه أحدها: أنه قد بلغ حد عذاب الكفر وهو الأكبر، لأن ما عداه من عذاب الفسق دونه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الْأَدْنى دُونَ الْعَذابِ الْأَكْبَرِ﴾ [٤] ، وثانيها: هو العذاب في الدرك الأسفل في النار وثالثها: أنه قد يكون العذاب الأكبر حاصلاً في الدنيا، وذلك بالقتل وسبي الذرية وغنيمة الأموال والقول الأول أولى وأقرب [٥] .

قلت: وإنما قال: الأكبر لأنهم عذبوا في الدنيا بأنواع من العذاب

---

(١) الكشف والبيان ١٩٠/١٠، الهداية إلى بلوغ النهاية ٨٢٣٠/١٢، المحرر الوجيز ٤٧٥/٥، مفاتيح الغيب ١٤٧/٣١، الجامع لأحكام القرآن ٣٧/٢٠، البحر المحيط ١٠ / ٤٦٦

(٢) النمل ٢١

(٣) المفردات صـ٥٥٥، مادة عذب، بصائر ذوي التمييز ٣٥/٤

(٤) السجدة ٢١

(٥) مفاتيح الغيب ١٤٧/٣١

مثل الجوع، والقحط والقتل، والأسر، فكانت النار أكبر من هذا كله.

الثالثة : قوله : (إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذابَ الْأَكْبَرَ) معترض بين جملة (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ) وجملة: (إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ) والمقصود من هذا الاعتراض الاحتراس من توهمهم أنهم أصبحوا آمنين من المؤاخذة على عدم التذكر، فحرف إلا للاستثناء المنقطع وهو بمعنى الاستدراك، والمعنى: لكن من تولى عن التذكر ودام على كفره يعذبه الله العذاب الشديد [١] .

الرابعة: أقوال المفسرين: ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذابَ الْأَكْبَرَ﴾ أي: فيدخله النار، وهو العذاب الأكبر الدائم، وهو عذاب النار، حرها شديد، ومقرها بعيد، ومقامها حديد. وهو قول جمهور المفسرين [٢] .

إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ : وفيه عدة مسائل:

المسألة الأولى: المفهوم اللغوي لقوله (إِيَابَهُمْ) الأَوْبُ : ضرب من الرجوع، وذلك أنّ الأوب لا يقال إلا في الحيوان الذي له إرادة ، والرجوع يقال فيه وفي غيره ، يقال : آب أَوْباً وإِيَاباً ومَآباً ، والأوَّاب كالتوّاب ، وهو الراجع إلى الله تعالى بترك المعاصي وفعل الطاعات ، قال تعالى : ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [٣] [٤] .

المسألة الثانية : المفهوم اللغوي لقوله (حِسابَهُمْ) الحساب في عموم التعارف إحصاء الأعداد جملاً وتفصيلاً، والحساب: استعمال العدد قال: حَسَبْتُ، أَحْسُبُ حِسَاباً وحُسْبَاناً، و هو في الحقيقة ما يحاسب عليه

(١) التحرير والتنوير ٣٠٧/٣٠

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣٧/٢٠، بحر العلوم ٥٧٦/٣، الكشف والبيان ١٩٠/١٠، الهداية إلى بلوغ النهاية ٨٢٣٠/١٢، المحرر الوجيز ٤٧٥/٥، مفاتيح الغيب ١٤٧/٣١، البحر المحيط ٤٦٦/١٠

(٣) ص ٣٠

(٤) المفردات صـ٩٧، المنجد في اللغة ١٣٤/١، جمهرة اللغة ٢٢٩/١

فيجازى بحسبه وحَسْبُ يستعمل في معنى الكفاية، ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١) ، أي: كافينا هو، والحِسْبَان: أن يحكم لأحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله، فيحسبه ويعقد عليه الإصبع، ويكون بعرض أن يعتريه فيه شك، ويقارب ذلك الظنّ، لكن الظنّ أن يخطر النقيضين بباله فيغلّب أحدهما على الآخر، قال ابن قتيبة: وقد يراد بالحساب: الكثير. ويراد به: الجزاء . ويراد به: المحاسبة (٢) .

المسألة الثالثة : أقوال السلف : عن ابن عباس قال : ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ الإياب الْمرجع، وعن قتادة (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ) يقول: إن إلى الله الإياب وعليه الحساب، وعن السّديّ {إِن إِلَيْنَا إيابهم} قال: منقلبهم (٣) .

المسألة الرابعة: (إِن إِلَيْنَا إيابهم) تعليل لجملة: (لست عليهم بمصيطر) ، أي لست مكلفاً بجبرهم على التذكر والإيمان لأنا نحاسبهم حين رجوعهم إلينا في دار البقاء ، وقد جاء حرف إن على استعماله المشهور ، إذا جيء به المجرد الاهتمام دون رد إنكار ، فإنه يفيد مع ذلك تعليلاً وتسبباً (٤) .

المسألة الخامسة : قال الرازي : وهذا كأنه من صلة قوله: ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴾ وإنما ذكر تعالى ذلك ليزيل به عن قلب النبي ﷺ حزنه على كفرهم، فقال: طب نفساً عليهم، وإن عاندوا وكذبوا وجحدوا فإن مرجعهم إلى الموعد الذي وعدنا، فإن علينا حسابهم (٥) .

---

(١) آل عمران ١٧٣

(٢) المفردات صـ٢٣٤، نزهة الأعين النواظرصـ٢٥٠، الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري صـ١٩٠

(٣) جامع البيان ٣٩١/٢٤، الدر المنثور ٤٩٦/٨

(٤) التحرير والتنوير ٣٠٨/٣٠

(٥) مفاتيح الغيب ١٤٧/٣١

المسألة السادسة : فائدة تقديم الظرف: قال أبو حيان: وفائدة تقديم الظرف التشديد بالوعيد، فإن إيابهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام، وأن حسابهم ليس بواجب إلا عليه، وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير [١] وبه قال الزمخشري [٢] .

المسألة السابعة : السر في العطف بـ (ثم) وعطفت جملة : (إن علينا حسابهم) بحرف (ثم) لإفادة التراخي الرتبي فإن حسابهم هو الغرض من إيابهم وهو أوقع في تهديدهم على التولي، ومعنى (على) من قوله: (علينا حسابهم) أن حسابهم لتأكده في حكمة الله يشبه الحق الذي فرضه الله على نفسه.

وهذه الجملة هي المقصود من التعليل التي قبلها بمعنى التمهيد لها والإدماج لإثبات البعث، وفي ذلك إيذان بأن تأخير عقابهم إمهال فلا يحسبوه انفلاتاً من العقاب [٣] .

قلت : ومعنى (ثُمَّ) للدلالة على أن الحساب أشد من الإياب، لأنه موجب العذاب وبادرته، ولبعد منزلة الحساب في الشدة عن منزلة الإياب

المسألة الثامنة: وتقديم خبر إن على اسمها يظهر أنه لمجرد الاهتمام تحقيقاً لهذا الرجوع لأنهم ينكرونه، وتنبيهاً على إمكانه بأنه رجوع إلى الذي أنشأهم أول مرة.

المسألة التاسعة: قال الرازي: وفيه سؤال: وهو أن محاسبة الكفار إنما تكون لإيصال العقاب إليهم وذلك حق الله تعالى، ولا يجب على المالك أن يستوفي حق نفسه والجواب: أن ذلك واجب عليه إما بحكم

(١) البحر المحيط ٤٦٦/١٠
(٢) الكشاف ٧٤٥/٤
(٣) التحرير والتنوير ٣٠٩/٣٠

الوعد الذي يمتنع وقوع الخلف فيه، وإما في الحكمة، فإنه لو لم ينتقم للمظلوم من الظالم لكان ذلك شبيها بكونه تعالى راضيا بذلك الظلم وتعالى الله عنه، فلهذا السبب كانت المحاسبة واجبة [١] .

المسألة العاشرة : أقوال المفسرين : (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ) يقول : إن إلينا رجوع من كفر ومعادهم (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ) يقول: ثم إن على الله حسابه، وهو يجازيه بما سلف منه من معصية ربه، يُعْلِمُ بذلك نبيه محمدًا ﷺ أنه المتولي عقوبته دونه، وهو المجازي والمعاقب، وأنه الذي إليه التذكير وتبليغ الرسالة [٢] وهذا مذهب جمهور المفسرين [٣] .

ما يستفاد من الآيات :

١ – أمر الله تعالى ﷺ بتذكير قومه وعظتهم وتخويفهم، وطمأنه بأنه مجرد واعظ، ليس بمسلّط عليهم، فيقتلهم، أو يجبرهم على الإيمان برسالته.

٢ – حذر الله تعالى من مخالفة دعوة النبي ﷺ ورسالته، فأنذر كل من تولى عن الوعظ والتذكير بالعذاب الأكبر في الآخرة.

(١) مفاتيح الغيب ١٤٧/٣١

(٢) جامع البيان ٢٤/ ٣٩١

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٣٧/٢٠، بحر العلوم ٥٧٦/٣، الكشف والبيان ١٩٠/١٠، الهداية إلى بلوغ النهاية ٨٢٣٠/١٢، المحرر الوجيز٤٧٥/٥، مفاتيح الغيب ١٤٧/٣١، البحر المحيط٤٦٦/١٠

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، له الحمد في الأولى والآخرة ، وله الحكم وإليه ترجعون ، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله أجمعين، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان ألى يوم الدين .

وبعد

فقد أمضيت في رحاب سورة (الغاشية) وقتاً ليس بالقصير تنقلت فيه بين أهداف السورة المتنوعة وبين مفرداتها ولغوياتها والصور الجمالية وما حوته من دلائل الإعجاز وعظيم القدرة الباهرة ووقفت من خلال هذه السورة على الحقائق الآتية :

١ – حديث السورة عن أهوال القيامة ، وما يدور في هذا اليوم بأسلوب مملوء بالفخامة والتهويل ويبعث في نفس السامع الهيبة والجلال .

٢ – القيامة يوم رهيب، يغشى الناس فيه غاشية شديدة من الأهوال والمخاوف .

٣ – تكون وجوه الكفار في ذلك اليوم ذليلة بالعذاب، خاضعة للعقاب .

٤ – وجوه المؤمنين في ذلك اليوم ناعمة، راضية، لما وجدت من ثواب عملها في الدنيا .

٥ – صاحب القلب الجيد دائم النظر في ملكوت السماوات والأرض، ففي إدامة النظر في مخلوقات الله حياة للقلوب .

٦ – ذكّر الله تعالى الناس بصنعته وقدرته، وأنه قادر على كل شيء .

٧ – على الدعاة أن يقوموا بدورهم في التذكير والإنذار، وليس عليهم نتيجة الدعوة؛ فأمرها إلى الله تعالى .

٨ – عزاء المؤمن في تمرد أعداء الله وضيقهم بدعوته؛ أن إيابهم إليه، وحسابهم عليه.

فهذه بعض الحقائق التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة ، راجية الله سبحانه وتعالى أن يتقبل صالح عملي ويتجاوز عن سيئاتي ويقيل عثراتي وأن يتغمدنى برحمته إنه ولى ذلك والقادر عليه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

١ – المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي/ دار القلم، الدار الشامية –دمشق بيروت، الأولى – ١٤١٢ هـ

٢ – سنن الترمذي ، ط : مصطفى البابي الحلبي –مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م .

٣ – الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، أبو عمر عبد البر تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢ م

٤ – أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير، دار الفكر – بيروت، عام ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م

٥ – موطأ الإمام مالك، صححه ورقمه محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٦ هـ –١٩٨٥ م

٦ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي ، تحقيق، عبد السلام عبد الشافي محمد – الكتب العلمية– بيروت– الأولى ١٤٢٢هـ

٧ – التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ط/ الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هـ

٨ – البيان في عدّ آي القرآن، أبو عمرو الداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث – الكويت الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م

٩ – اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية –بيروت /لبنان

١٠ – تفسير البيضاوي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الأولى– ١٤١٨ هـ

١١ – تفسير ابن كثير، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون– بيروت، الأولى –١٤١٩ هـ
١٢ – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري جار الله ، دار الكتاب العربي – بيروت، الثالثة
١٣ – معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر
١٤ – مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، ، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى – القاهرة، ١٣٨١ هـ
١٥ – الوافي بالوفيات ، دار إحياء التراث – بيروت:١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م
١٦ – البحر المحيط، أبو حيان لأندلسي ، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر –بيروت
١٧ – إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م
١٨ – الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق
١٩ – إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية –حمص–سورية، (الرابعة، ١٤١٥هـ
٢٠ – تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان
٢١ – التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، الثانية، ١٤١٨هـ
٢٢ – الصناعتين، أبو هلال العسكري ، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العنصرية – بيروت ١٤١٩هـ

٢٣ – البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي صـ٨، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان
٢٤ – تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين ابن الزكي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، الأولى، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م
٢٥ – تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني – مطبعة دائرة المعارف النظامية – الهند – الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ
٢٦ – معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين الذهبي، دار الكتب العلمية – الأولى ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م .
٢٧ – السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، الثانية، ١٤٠٠هـ
٢٨ – الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، يوسف بن علي بن جبارة أبو القاسم الهُذَلي اليشكري، تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م،
٢٩ – المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي ،ط/ وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م
٣٠ – حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة ، تحقيق، سعيد الأفغاني، دار الرسالة،
٣١ – معاني القراءات، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩١م

٣٢ – الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق : د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب – جامعة الكويت، دار الشروق – بيروت، الرابعة، ١٤٠١ هـ
٣٣ – غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى –١٤١٦ هـ
٣٤ – جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري ، تحقيق : أحمد محمد شاكر، ط/ مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢٠ هـ –٢٠٠٠ م
٣٥ – الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر –بيروت
٣٦ – النكت والعيون، الماوردي ، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية –بيروت / لبنان
٣٧ – مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الثالثة – ١٤٢٠هـ
٣٨ – زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج ابن الجوزي ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الأولى
٣٩ – الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين القرطبي ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الثانية، ١٣٨٤هـ –١٩٦٤ م
٤٠ – أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي ، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الأولى–١٤١٨ هـ
٤١ – تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، دار الكتب العلمية، تحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، سنة ١٤١٩هـ
٤٢ – الكشف والبيان للثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الأولى١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢ م

٤٣ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤١٥ هـ

٤٤ – المحكم والمحيط الأعظم أبو الحسن بن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوى دار الكتب العلمية – بيروت– الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م

٤٥ – شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر– بيروت – لبنان

٤٦ – غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين النيسابوري ، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات ،دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٦ هـ

٤٧ – مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تحقيق، يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الأولى، ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م

٤٨ – فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني اليمنى، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الأولى، ١٤١٤ هـ

٤٩ – العين الخليل بن أحمد الفراهيدى، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، ط/ دار ومكتبة الهلال .

٥٠ – تفسير ابن أبى حاتم ، تحقيق: أسعد محمد الطيب – مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية – الثالثة ١٤١٩ هـ

٥١ – زاد المسير في علم التفسير جمال الدين أبو الفرج الجوزي،تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الأولى – ١٤٢٢ هـ

٥٢ – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، الثالثة – ١٤٠٧ هـ٥٣-
٥٤ – التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: د/عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الأولى – ١٤١٦ هـ
٥٥ – اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان
٥٦ – معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، تحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م
٥٧ – التَّلخِيص في مَعرفَةِ أسمَاءِ الأشياء، أبو هلال العسكري ، تَحقيقِ: الدكتور عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الثانية، ١٩٩٦ م
٥٨ – تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي ،ط/ دار الهداية
٥٩ – المبسوط في القراءات العشر أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوريّ ، تحقيق : سبيع حمزة حاكيمي، ط/ مجمع اللغة العربية – دمشق،عام ١٩٨١ م
٦٠ – حجة القراءات حجة، أبو زرعة ابن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط/ دار الرسالة
٦١ – الحجة للقراء السبعة الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، تحقيق: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي، ط/ دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت، الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م

٦٢ – النشر في القراءات العشر شمس الدين بن الجزري، تحقيق : علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية]
٦٣ – الجامع لأحكام القرآن،أبو عبد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، الثانية،١٣٨٤هـ –١٩٦٤م
٦٤ – مفاتيح الغيب ،فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت الثالثة – ١٤٢٠ هـ
٦٥ – لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، دار صادر – بيروت الثالثة – ١٤١٤ هـ
٦٦ – الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
٦٧ – تفسير القرآن– أبو المظفر السمعاني ، تحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية – الأولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م .
٦٨ – الإعجاز العلمى في القرآن ، يوسف الحاج أحمد، مكتبة ابن حجر، الثانية، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م .
٦٩ – شرح ديوان أمية بن أبى الصلت ، ط /دار مكتبة الحياة بيروت لبنان قدم له سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب .
٧٠ – من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم مع آيات الله في السماء أ.د / حسن أبو العنين أستاذ الجغرافيا الفلكية والطبيعية جامعة الإمارات المتحدةوما بعدها بتصرف. ط مكتبة العبيكان .
٧١ – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، دار الكتاب الإسلامي .

٧٢ – موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي ، دار المكتبي – سورية – دمشق – الحلبوني – جادة ابن سينا، الثانية ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

٧٣ – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ،تحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م .

٧٤ – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م .

٧٥ – الناسخ والمنسوخ، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم، تحقيق: محمد بن صالح المديفر، مكتبه الرشد، الرياض، الثانية، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م

٧٦ – الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤م .

٧٧ – البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الأولى، ١٣٧٦ هـ– ١٩٥٧م

٧٨ – مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الثالثة.

٧٩ – المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوري ، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية – دمشق ١٩٨١ م .